شعراء حول الرسول

❑ صلى الله عليه وسلم ❑

تأليف

الدكتور / محمد عبد الحليم غنيم

الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

مكتبة الإيمان بالمنصوره

مكتبة الإيمان - المنصورة

أمام جامعة الأزهر

ت: ٠٥٠/٢٢٥٧٨٨٢



المقدمة



بسم الله الرحمن الرحيم

كان هذا الكتاب في الأصل مجموعة من المقالات نشرت في جريدة « عمان » بدولة سلطنة عُمان ، خلال شهر رمضان الكريم عامي ١٩٩٩ ، ٢٠٠٠ ، وكانت كل مقالة تختص بأحد الشعراء الذين عاصروا النبي ﷺ فمدحوه أو رثوه أو شاركوا بشكل أو بآخر في الدفاع عن الدعوة المحمدية وتثبيت أركانها .

وقد رأيت بعد عامين من نشرها أن أضم هذه المقالات في كتاب ، مضيفا عدداً آخر من الشعراء وموثقا للمادة الشعرية مع ضبطها إذا اقتضى السياق ، كذلك مهدت لها بفصل موجز عن الشعر في العهد النبوي وموقف القرآن الكريم والرسول ﷺ منه وقضية ضعف الشعر في هذا العهد . أما الشعراء أنفسهم فقد رتبتهم ترتيبًا ألفا بائيا على حروف المعجم ، على صورة مجموعات كل مجموعة تأخذ فصلاً معينا ، وقد وصل عددهم إلى تسعة وأربعين شاعراً ، وضعتهم في ستة فصول متوالية من الأول حتى السادس . وهكذا ينتظم هذا الكتاب في مقدمة ومدخل وستة فصول .

ولما كنت في هذا الكتاب أخاطب القارئ العادي والقارئ المتخصص معًا حرصت أن أجمع بين الطريقة المبسطة في العرض والمنهج العلمي في البحث ، لذلك كان الاعتماد على الإيجاز في عرض المادة السيرية التي تخص الشاعر موضوع الفصل ، فلم أثقل الكتاب بالتحقيق في تاريخ ميلاد الشاعر أو تاريخ وفاته، ولم أثقل الكتاب بعرض القصص الجانبية حول حياة الشاعر ، كذلك الإيجاز في المادة الشعرية التي تخص الشاعر ، مع توثيق هذه المادة وضبطها بالشكل وشرحها إذا اقتضى السياق .

أما الشاعر نفسه الذي استحق أن يأخذ لقب شاعر النبي أو لقب شاعر حول الرسول ﷺ ، فاشترطت أن يكون صحابيًا معاصراً للنبي ﷺ ، أنشد النبيَّ ﷺ

شعراً أو أرسله إليه أو استمع النبيُّ ﷺ إلى شعره دون أن يراه ، أورثا النبيَّ ﷺ بعد وفاته . لذلك استبعدت الشعراء الذين هجوا الرسول ﷺ ولم يعتذروا عن ذلك ، فماتوا كفاراً ، واستبعدت أيضًا الشعراء الذين مدحوا النبي ﷺ في حياته، ولكنهم ارتدوا بعد وفاته أو قبل وفاته ، وعلى الإجمال : استحق لقب شاعر النبي وترجمنا له في هذا الكتاب من دافع عن الدعوة المحمدية وشارك في تأسيسها بالقول الشعري ـ على أن من الشعراء جمع بين القول والفعل ـ وظهر أثر الإسلام في قوله . وقد كان من أبرز أهداف هذا الكتاب بحث هذا الأثر وإظهاره.

وبعد ، فأسأل الله التوفيق ، وعلى الله قصد السبيل

دكتور / محمد عبد الحليم غنيم

١٠ من رجب سنة ١٤٢٣ هـ

المدخل

الشعر في العهد النبوي

وموقف القرآن والرسول ﷺ منه



المدخل
الشعر في العهد النبوي
وموقف القرآن والرسول ﷺ منه

يُطلِق الدكتور شوقي ضيف - أشهر مؤرخي الأدب العربي في القرن العشرين - لفظ العصر الإسلامي على الشعر والأدب العربي بمختلف فنونه على الفترة من بداية نزول الوحي على النبي ﷺ إلى نهاية الدولة الأموية ، وعليه يشمل العصر الإسلامي عنده ثلاث مراحل :

١ - الشعر والنثر في عهد النبي ﷺ ، أي حتى نهاية السنة الحادية عشرة للهجرة.

٢ - الشعر والنثر في عهد الخلفاء الراشدين ، أي حتى وفاة علي بن أبي طالب سنة ٤٠ هـ .

٣ - الشعر والنثر في الدولة الأموية ، أي من سنة ٤٠ للهجرة إلى سقوط الدولة الأموية سنة ١٣٢ هـ .

وقد أطلق الدكتور شوقي ضيف والمؤرخون من بعده على المرحلتين الأولى والثانية (عصر صدر الإسلام) وعلى المرحلة الثالثة (العصر الأموي) نسبة إلى بني أمية على اعتبار أن معاوية بن أبي سفيان أول خلفائهم .

ولما كان كتابنا هو « شعراء النبي » فلن نخرج عن الفترة الأولى من عصر صدر الإسلام وبالتحديد فترة نبوة محمد ﷺ ، وما قيل في هذه الفترة من شعر في محمد ﷺ ودعوته ، ولذلك أطلقنا على كتابنا « **شعراء النبي ﷺ** » ، أي أننا لن نترجم لهؤلاء الشعراء الذين هجوا الدعوة المحمدية ومحمدًا بالطبع ، إلا من دخل الإسلام بعد ذلك ، وأخذ جانب الدعوة المحمدية مدافعًا ومؤيدًا ، ثم ظهر أثر هذه الدعوة في شعره كعبد الله بن الزبعري وضرار بن الخطاب ، على سبيل

المثال لا الحصر .

وقد أثار المؤرخون والنقاد عدة قضايا عند تعرضهم للشعر في العهد النبوي وصدر الإسلام بصورة عامة ، لعل على رأسها موقف الإسلام والنبي محمد ﷺ من الشعر ، والتساؤل حول شاعرية النبي ﷺ وهل كان شاعرًا ؟ وضعف الشعر في عهد النبي ﷺ بسبب نزول القرآن ، وما ترتب على ذلك من قلة الشعر في هذا العهد كمًا وكيفًا . وسنعالج في هذا الفصل هذه القضايا بالترتيب حسب ورودها ولكن بصورة موجزة .

كثرة ما نظم من شعر في عهد النبي ﷺ والخلفاء الراشدين :

عند ما قال ابن سلام الجمحي في كتابه طبقات فحول الشعراء « كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم ، ولهت عن الشعر وروايته . فلما كثر الإسلام وجاءت الفتوح ، واطمأنت العرب بالأنصار ، راجعوا رواية الشعر ، فلم يؤولوا إلى ديوان مدون ولا كتاب مكتوب ، وألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل ، فحفظوا أقل ذلك ، وذهب عليهم منه كثير [١] فُسِّرت عبارته خطأ ، فظن من ظن أن العرب توقفت عن قول الشعر والاهتمام به ، خاصة في عهد النبوة ، ثم جاء ابن خلدون بعد ذلك ليؤكد هذا التفسير الخاطئ في مقدمته، عند ما قال : « . . . ثم انصرف العرب عن ذلك أول الإسلام بما شغلهم من أمر الدين والنبوة والوحي ، وما أدهشهم من أسلوب القرآن ونظمه فأخرسوا عن ذلك وسكتوا عن الخوض في النظم والنثر زمانًا ثم استقر ذلك وأونس الرشد من الملّة ، ولم ينزل الوحي في تحريم الشعر وحظره ، وسمعه النبي ﷺ وأثاب عليه فرجعوا حينئذ ديدنهم منه » [٢] .

(١) ابن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، الذخائر ، ع ٧٢ ، القاهرة ٢٠٠١ ، ص ٢٤ ، ٢٥ .

(٢) ابن خلدون : المقدمة ، دار إحياء التراث العربي ، ط ٣ ، بيروت ، د . ت ص ٥٨١ .

وابن خلدون هنا يردد ما قاله سلفه ابن سلام ، بيد أنه يؤكد هنا أن الشعر توقف في عهد النبوة ، وهذا ما لا نوافقه عليه بالمرة ، لأن الوقائع التاريخية تنقض ذلك من ناحية ، وعبارة ابن خلدون نفسها تنقض ذلك أيضًا من ناحية ثانية ، فقد قال في ختام عبارته أن الرسول استمع إلى الشعر وأثاب عليه ، وهذا أكدته الوقائع التاريخية ، فقد اتخذ شاعرًا خاصًا له هو حسان بن ثابت ، وقد انضم إليه شعراء آخرون ، مثل : عبد الله بن رواحة ، وكعب بن مالك ، كانوا بمثابة لسان حال الدعوة المحمدية والمنافحين عنها ضد هجمات الأعداء من شعراء المشركين و « تزخر كتب الأدب والتاريخ بما نظم من أشعار في صدر الإسلام ، وهي أشعار كثيرة ، نلقاها في كل ما يصادفنا من أحداث العصر ، فليس هناك حدث كبير إلا ويواكبه الشعر ويرافقه ، وكان أكبر الأحداث دعوة الرسول ﷺ إلى الإسلام » [١] .

أما عبارة ابن سلام فالتفسير الصحيح لها في رأيي : أن العرب انشغلت بالإسلام والوحي في البداية عن رواية الشعر والاهتمام به ، لذلك ضاع شعر كثير ولم يبق منه إلا القليل ، خاصة من شعر الجاهلية ، وعليه لا يجوز أن نفهم من عبارة ابن سلام كما فهم ابن خلدون أن العرب أخرست عن قول الشعر ، بل على العكس من ذلك ، فإن ثمة عبارة لابن سلام في كتابه طبقات فحول الشعراء، تشير إلى أن القصائد قصدت وطولت على عهد عبد المطلب وهاشم بن عبد مناف « ولم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا الأبيات يقولها الرجل في حاجته ، وإنما قصدت القصائد وطول الشعر على عهد عبد المطلب وهاشم بن عبد مناف » [٢] . ومعلوم أن عبد المطلب جد النبي ﷺ ، أي أن الشعر كان مزدهرًا ومطولاً في حياة النبي ﷺ .

والواقع أن ازدهار الشعر في عهد النبي ﷺ حقيقة لا تحتاج إلى كثير بيان ،

---

(١) شوقي ضيف : العصر الإسلامي ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٨ ، ص ٤٢ .

(٢) ابن سلام : طبقات فحول الشعراء ، مرجع سابق ، ص ٣٦ .

فالشعر يسيل على كل لسان من صحابة النبي ﷺ المؤيدين له أو المشركين أعداء الإسلام ، ويكفي أن نلقي نظرة على كتب مثل سيرة ابن هشام أو الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر القرطبي أو الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني أو طبقات بن سعد وغيرها من الكتب التراثية الشاملة كالأغاني وخزانة الأدب وغيرهما .

ولعل هذا يسلمنا إلى قضية أخرى ساعدت على الظن بفكرة قلة الشعر وضعفه فنيًا في عهد النبي ﷺ الا وهي :

موقف القرآن من الشعر

لو تتبعنا لفظة الشعر والشعراء في القرآن الكريم لوجدنا أنها وردت في ستة مواضع ، في خمسة منها يحكي القرآن ما حاول كفار قريش أن يلصقوه برسول الله ﷺ من اتهامات باطلة وصفات طائشة كاذبة على رأسها وصف النبي بأنه شاعر .

١ ـ قال تعالى ﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ ﴾ [الأنبياء : ٥] .

٢ ـ ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ (٦٩) لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [يس : ٦٩ ، ٧٠] .

٣ ـ ﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ (٣٦) بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الصافات : ٣٦ ، ٣٧] .

٤ ـ ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ﴾ [الطور : ٣٠] .

٥ ـ ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لا تُبْصِرُونَ (٣٩) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ ﴾ [الحاقة : ٣٨ ـ ٤١] .

والمتأمل في هذه المواضع الخمسة التي أوردناها هنا يجد أنها جاءت لقصور موقف المشركين إزاء القرآن وتأثيره في النفوس ، ولتؤكد لهم أن القرآن وحي من

عند الله منزل على رسوله محمد ﷺ ، فجميعها مسوقة لتنزيه الرسول ﷺ عن أن يكون من الشعراء الذين يبتدعون القول . فالقرآن في هذه المواضع لم يتحدث عن الشعر من حيث هو فن من القول يجوز للمسلم أن يتعاطاه أو يحرم ذلك عليه، وإنما جاء ـ كما أسلفنا ـ لتنزيه النبي والقرآن نفسه عن الشعر ؛ لتأكيد حقيقة أهم وهي اختلاف القرآن عن كلام العرب من ناحية ونزوله من قِبل الله تعالى على رسوله ﷺ من ناحية أخرى .

ولعل الموضع السادس الذي ذكر فيه لفظ الشعر في القرآن هو الذي أثار جدلاً أكبر حول انصراف الشعراء عن قول الشعر . قال تعالى ﴿ **وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ (٢٢٦) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَانتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ** ﴾ [الشعراء : ٢٢٤ ـ ٢٢٧] .

إن هذه الآيات جعلت ابن رشيد الأندلسي في كتابه « العمدة » يعقد فصلاً كاملاً تحت عنوان « باب في الرد على من يكره الشعر » أكثر فيه القول من كلام النبي ﷺ والصحابة والوقائع التي تؤكد عدم كراهية الرسول ﷺ والعرب للشعر، غير أن أهم ما قاله في هذا الباب هو رده على من احتج بآيات سورة الشعراء الواردة أعلاه في كراهة الشعر من قبل الإسلام ، يقول ابن رشيق فأما احتجاج من لا يفهم وجه الكلام بقوله تعالى ﴿**وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ** ﴾ فهو غلط وسوء تأول ، لأن المقصود بهذا النص شعراء المشركين الذين تناولوا رسول الله ﷺ بالهجاء ، ومسّوه بالأذى، فأما من سواهم من المؤمنين فغير داخل في شيء من ذلك ، ألا تسمع كيف استثناهم الله عز وجل ونبه عليهم فقال : ﴿ **إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَانتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا** ﴾ يريد شعراء النبي ﷺ الذين ينتصرون له، ويجيبون المشركين عنه ، كحسان بن ثابت وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة ، وقد قال فيهم النبي ﷺ « **هؤلاء النفر أشد على قريش من نضح النبل** » وقال لحسان

ابن ثابت : « **اهجهم - يعني قريش - فوالله لهجاؤك عليهم أشد من وقع السهام في غلس الظلام ، اهجهم ومعك جبريل روح القدس ، والف أبا بكر يعلمك تلك الهنات** » فلو أن الشعر حرام أو مكروه ما اتخذ النبي ﷺ شعراء يثيبهم على الشعر ، ويأمرهم بعمله ويسمعه منهم . أما قوله ﷺ : « **لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحًا حتى يريه خيراً له من أن يمتلء شعراً** » فإنما هو من غلب الشعر على قلبه ، وملك نفسه ، حتى شغله عن دينه وإقامة فروضه ، ومنعه من ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن . والشعر وغيره - مما جرى هذه المجرى من شطرنج وغيره - سواء » [1] .

وإذا كان ابن رشيق من القدماء يؤكد هذا الموقف الإيجابي للقرآن الكريم من الشعر ، فإن الدكتورة عائشة عبد الرحمن - بنت الشاطئ - تؤكد بعدًا آخر في هذا الموقف الإيجابي للقرآن من الشعر ، فبعد أن تذكر لنا الكثير من الأدلة النقلية والعقلية ما يؤكد عدم كراهية الإسلام للشعر ، تصل بنا إلى رأي جديد وهو أن الإسلام سما بدور الشاعر في الحياة الاجتماعية والسياسية مقارنة بدوره السابق في العصر الجاهلي ، تقول : « كان التطور الهام الذي حدث هو أن الإسلام أراد لشاعر القبيلة أن يصير شاعر الأمة ، فلم يهدر بهذا ذاتية الشاعر ، بل أراد لها أن ترحب فلا تعود محدودة بنطاق الأسرة والقبيلة ، ولم يَصِرْ الشاعر في الوضع الجديد داعية مأجورًا ، فما كان الرسول ﷺ ولا أحد من خلفائه رضوان الله عليهم يستبيح أن يفتح باب المسلمين للشعراء ثمنًا لتأييدهم ، بل ما كان الرسول ولا أحد من خلفائه يعد هذا المال ملكا له يتصرف فيه كيفما شاء ، وإنما هو مال المسلمين أمانة بين أيدي النبي والخلفاء الراشدين ، ينفقون منه على خير الرعية ومصلحة الجماعة، طبقًا لحدود الله » [2] .

---

(١) ابن رشيق القيرواني : العمدة ، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة ، ط ٥ ، بيروت ، ١٩٨١ ، ص ٣١ ، ٣٢ .

(٢) عائشة عبد الرحمن : قيم جديدة للأدب العربي ، دار المعارف ط٢ ، القاهرة ،١٩٩٢،=

إذن فالقرآن لم يحرِّم الشعر ولم يحض على كراهيته ، كل ما في الأمر أنه «قد ميز بين فريقين من الشعراء ، فريق استغل فنه فيما ينافي هدي الدين وآدابه ، فهو الفريق المعيب الذي حاربه القرآن ، وفريق اتجه بشعره إلى العمل الخير الجميل، وإلى نصرة الحق أنى وجد ، فهو الفريق الذي أخرجه من ذلك الوصف العام وأيده بكل قوة » (١) .

« والمتتبع لموقف الإسلام من الشعر في عهد النبوة يجد أن الإسلام اتخذ من الشعر مواقف تنسجم وطبيعة المرحلة التي شهدتها الدعوة ، فالمواقف الإسلامية لم تكن اعتباطية وعشوائية ، بل كانت منبثقة من ظروف الدعوة نفسها » (٢) . فيمكن أن نقول أن ثمة مراحل أو درجات في موقف الإسلام من الشعر ، ففي بداية الدعوة

١ ـ ذم الإسلام الشعر وهوّن من أقدار الشعراء ، حين كان الشاعر يهاجم الدين ، وينتقص منه ، وحين كان المشركون يتهمون الرسول بأنه شاعر ، وبأن قوله شعر .

٢ ـ اتخذ الإسلام الشعر ـ بعد فترة من الدعوة ـ سلاحًا من أسلحة الحرب ، فأخذ يوجه الشعراء نحو الالتزام النسبي بقيم الإسلام وتعاليمه ، فشهر هؤلاء الشعراء ألسنتهم يحاربون بها أعداء الإسلام من مشركي قريش ، كما سنرى في رد حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وغيرهم على الشعراء من مشركي قريش .

٣ ـ بعد فتح مكة والطائف ، أنهى الإسلام مهمته الحربية تقريبًا وانتهى دور الشعر الهجائي أو دور النقائض الشعرية ، خاصة بعد دخول الناس في دين الله

= ص ٧٧ .

(١) د . سامي مكي العاني : الإسلام والشعر ، عالم المعرفة ، ع ٦٦ ، الكويت ، ١٩٨٣، ص ٤٥ .

(٢) د . فايز ترحيني : الإسلام والشعر ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، ١٩٩٠ ص ٨٧ .

أفواجًا ، فلم يعد من المقبول إثارة الضغائن والأحقاد عن طريق الشعر ، ولذلك دخل الشعر مرحلة جديدة في أغراضه وموضوعاته .

والخلاصة : إن هذه المواقف كان لها أثرها في تطور شعر الدعوة في العهد النبوي وفيما بعد ، وعليه لا يمكن القول : « أن الدين الإسلامي قد نهى عن قول الشعر عموما ، ولا يمكن القول أيضًا أنه شجع الشعر دون توجيه أو تهذيب ، بل يجب أن ينظر إلى النهي والتشجيع من منطلق الأحداث التي رافقت الإسلام ، وطبيعة المواقف والمراحل التي شهدها الإسلام ، كما لا يمكن أن ينظر إلى الشعر بمعزل عن تلك المواقف والمراحل » (١) .

وهكذا بعد هذا العرض يمكن أن نقول أن الإسلام لم يكن حائلاً أبدًا في وجه الشعر والشعراء ، بل شجع على قول الشعر وتوجيهه إلى دروب جديدة من القول ساعدت وقائع الدعوة بمراحلها المختلفة على طرقها ، ومن ثم ظهرت موضوعات جديدة ، وآفاق أرحب أمام الشعراء في عهد النبوة .

الرسول والشعر

نشأ النبي ﷺ وتربى في بيئة كثر فيها الشعراء ، وكانت الشاعرية مصدر فخار للرجل منهم ، ومع ذلك لم يؤثر عنه أنه حاول قول الشعر لا قبل الرسالة ولا بعد تتابع نزولها . ومع ذلك حاول كفار قريش وصفه بأنه شاعر وأن القرآن الذي ينزل عليه ما هو إلا شعر ، قال تعالى على لسانهم ﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ ﴾ [الأنبياء : ٥] ، وكان رد الله تعالى على هذه التهمة حاسمًا ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴾ [يس : ٦٩] .

إذن فقد نزه الله تعالى الرسول ﷺ عن قول الشعر أو محاولة تعلمه ، وليس ذلك لأن الشعر شبهة أو منقصة لا يجب أن يتحلى بها الرجل الفاضل أو الشريف، ولكن لأن الله « بعث إليهم نبيًا ولم يبعث لهم شاعرًا ، وأن هذا الذي

(١) يحيى الجبوري : الإسلام والشعر ، منشورات مكتبة النهضة ، بغداد ،١٩٦٤، ص ٤١ .

أنزله عليه وعلمه إياه هو القرآن الكريم المعجزة الكبرى التي تحداهم أن يأتوا بسورة من مثله» [١] . فلو كان الرسول شاعرًا ، لنسب العرب بلاغته وفصاحته وحجته التي استقاها من القرآن الكريم إلى ملكة الشعر أو شيطان الشعر ، ولأضحى الشك في القرآن - حسب زعمهم - أقرب إلى معقولهم ، وكي لا يزدادوا ضلالاً ويتمسكوا بحجتهم الخاطئة ، لم يرْوِ الرسول بيت شعر كامل الوزن صحيحه ، وإذا أثر عنه بعض الأبيات فهي أقرب إلى النثر منها إلى الشعر ، مثل قوله :

أَنَا النبيُّ لا كذبْ   أنا ابن عبد المطلبْ

فهذا من الرجز ، ولا يعده علماء الشعر من الشعر ، ومع ذلك فقد أثر عن النبي ﷺ استماعه للشعر قبل بعثته وبعد البعثة بالطبع ، فقد شجع الشعراء المسلمين يستنهض هممهم على قول الشعر الجيد ، بل كان يوجه الشعراء إلى أن يتمثلوا في شعرهم المفاهيم الإسلامية والقيم الجديدة ، والدليل على ذلك هذا العدد الكبير من الشعراء الذين التفوا حول النبي ﷺ ودعوته ، حتى ليتجاوز عددهم عند بعض الباحثين أربعمائة شاعرًا ، وسيأتي في معرض ترجمتنا لشعراء النبي ﷺ معرفة كيف توفر حس نقدي نحو الشعر ، يقوم على التوجيه والتقويم للشعراء ، كذلك توفر ذائقة نقدية للنبي ﷺ تميز جيد الشعر من رديئه . وهنا يبرز سؤال مهم : لماذا لم يقل الرسول ﷺ شعرًا ؟ يمكن أن نقول أن الموهبة الشعرية ليست من لوازم العظمة أو النبوة ، ولم يؤثر عن نبي سابق أنه كان شاعرًا، ولا يضر النبي ألا يكون شاعرًا ، غير أن هناك تفسيرًا آخر أورده أحد الباحثين الجادين، ويرجع عدم قول النبي ﷺ للشعر بأن الله تعالى « صرفه » عن ذلك لحكمة أرادها « ولعلنا نتلمس حكمته تعالى في صرف نفسه الشريفة عن قول الشعر بثلاثة أمور :

---

(١) د . عبد العزيز الدسوقي : محمد والشعر ، مجلة الهلال ، عدد أغسطس ، دار الهلال، القاهرة ، ١٩٩٧ ، ص ٩١ .

الأول : إن القرآن الكريم الذي نزل عليه أرفع من الشعر وأعلى بيانًا وأجل قدرًا ، فما حاجة من يتنزل القرآن عليه إلى قول الشعر ؟ إنه ـ بالقرآن ـ يكون قد تجاوز الشعر .

الثاني : إن المشركين والكفار اتهموه بأنه شاعر ، فمن البلاغة والحكمة في تفنيد تهمتهم أنه لا يقول الشعر بتاتًا ، حتى إنه لم يكن يروي بيتا من الشعر إذا أراد أن يتمثل بمعناه ، إلا بعد أن يغير في ترتيب ألفاظه ليلغي وزنه ـ كما قلنا سابقًا .

الثالث : إن الله تعالى هيأه ليكون صاحب رسالة يقيم إيصالها للناس على مصدرين : القرآن وحديث الرسول ، القرآن يضع المبادئ والأسس والتفصيلات لأشياء أخرى ، ثم يترك تفصيلها لحديث الرسول ، ومن المعروف أن تفصيل الأشياء تفصيلاً جليا ليست وسيلته الشعر وإنما وسيلته النثر » [١] .

وإذا كان الله تعالى قد صرف نبيه الكريم ﷺ عن قول الشعر ، فإنه لم يصرفه عن الاستماع للشعر والحث عليه طالما كان يحث على قيم الإسلام ويدافع عنه ، فالشعر هنا وسيلة تهدف إلى خدمة الرسالة . . ونظرًا لأهمية هذه الوسيلة وتأثيرها ، اتخذ النبي ﷺ حسان بن ثابت شاعرًا وبنى له منبرًا في المسجد ينشد شعره من فوقه ، وقد ظل حسان ينشد الشعر من فوق هذا المنبر بعد أن انتقل الرسول الأعظم ﷺ إلى الرفيق الأعلى . وقد انضم إلى حسان بن ثابت شعراء آخرون ـ كعب بن مالك وعبد الله بن رواحة ـ كان وقع شعرهم على كفار ومشركي قريش كوقع النبل كما أشرنا من قبل .

وقد كانت للرسول ملكة نقدية بحكم نشأته في بيئة شاعرية ، وفصاحته وبلاغته التي تعلمها من القرآن الكريم ، إذ مكنته هذه الملكة من تمييز جيد الشعر

---

(١) عودة الله منيع القبيسي : تجارب في النقد الأدبي التطبيقي ، دار البشير ، عمان ، ١٩٨٥ ص ٣٠ .

من رديئه ، وتوجيه وتقويم ما يلقى عليه من شعر . فعندما يسمع كعب بن مالك يقول :

مدافعُنا عن جذمةٍ كلُّ فخمةٍ   مدربةٌ فيها القوانسُ تَلْمَعُ

ينكر عليه اتجاهه نحو العصبية القبلية ، التي هي من آثار الجاهلية ، ويطلب إليه أن يبدل كلمة « جذمنا » بكلمة « ديننا » ويفعل ذلك كعب .

وحين يفد النابغة الجعدي وينشده قوله :

بَلَغْنا السماءَ مجدُنَا وجُدودنا   وإنا لنرجوا فوْقَ ذَلك مَظْهَرا

ويحسن النبي ﷺ بتوجه الشاعر نحو الأسلوب الجاهلي في الفخر ، يقول له : « **إلى أين يا أبا ليلى ؟** » فيقول النابغة : إلى الجنة . فيقول له النبي مغتبطًا بهذه الروح الجديدة : « **إن شاء الله** » . والأمثلة على ذلك كثيرة .

وقد عرف الشعراء بعد ذلك « ما للشعر من تأثير في نفس النبي ﷺ وقلبه ، لذلك اتخذوا منه وسيلة يستشفعون بها عنده ، فكان يستجيب لهم ، فينصر مستنصرهم ويغيث مستغيثهم ، ويقبل من مقتدرهم ويرق لمتألمهم » (١) . والأمثلة على ذلك كثيرة أيضًا ، وسيعرض ذلك في تراجم الشعراء .

ولخطورة الشعر وأثره في النفوس فقد نهى النبي ﷺ عن رواية بعض الأشعار ، « وهذه الأشعار لا تتجاوز نصين شعريين فقط ، هما قصيدة أمية بن أبي الصلت التي يرثي فيها من أصيب من قريش يوم بدر ، وهي في واحد وثلاثين بيتًا . أما النص الثاني فهو قصيدة الأعشى في هجاء علقمة بن علاثة ومدح عامر بن الطفيل والتي مطلعها :

عَلْقَمَ ما أنتْ إلى عامرِ   الناقضِ الأوتارَ والواترِ (٢)

كما أهدر دم بعض الشعراء من المشركين واليهود ممن حارب الإسلام بلسانه

---

(١) سامي مكي العاني : الإسلام والشعر ، مرجع سابق ، ص ٦٤ .

(٢) سامي مكي العاني : المرجع نفسه ، ص ٧١ ، ٧٢ .

وسلاحة ، مثل أبو عزة الجمحي وعصماء بنت مروان وكعب بن الأشرف اليهودي، وغيرهم .

غير أن من تاب واعتذر عفا عنه النبي ﷺ وقبل إسلامه ، ولعل المثل الأشهر في ذلك كعب بن زهير والحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي .

وفي الختام نشير إلى أن النبي نفسه تحول إلى مصدر الإلهام للشعراء ، فألهمت شخصيته ودعوته مجموعة كبيرة من الشعراء لا في عصر صدر الإسلام فقط بل في كل العصور ، فأصبح المديح النبوي أحد أهم موضوعات الشعر العربي على مر العصور الأدبية .

وقد تناولنا في كتابنا هذا تراجم الشعراء الذين التقوا النبي ﷺ ودعوته ، فمدحوه أو رثوه أو دافعوا عن دعوته أو شخصه أو قيم الإسلام ومبادئه ، وقد رجعنا في ذلك إلى أمهات الكتب في التراث العربي ، وقد اشترطنا في الشاعر من شعراء النبي ﷺ أن يكون معاصراً له ، وأن يكون قد أنشد بين يديه شعراً ، أو أرسل إليه شعره فسمعه النبي أو ورثى النبي ﷺ إبان وفاته ، وأن يكون صحب النبي ﷺ مسلمًا لم يرتد إلى الكفر أو الشرك . وعلى الله قصد السبيل .



[حرف الهمزة]

١. أبو ذؤيب الهذلي
٢. أبو سفيان بن الحارث
٣. أبو طالب بن عبد المطلب
٤. أبو قيس صرمة بن أنس
٥. أبو محجن الثقفي
٦. أروى بنت عبد المطلب
٧. الأعشى ميمون بن قيس
٨. أنس بن زنيم الكناني

أبو ذؤيب الهذَليّ

اسمه خويلد بن خالد ، وقيل خالد بن خويلد ، أشهر وأشعر شعراء هذيل جاهلي إسلامي ، أسلم قبل وفاة النبي ﷺ ولم يره ، حضر وفاة النبي ﷺ ورثاه، ونلمح في شعره بصورة عامة تأثرا بالمعاني والقيم الإسلامية .

وكان أبو ذؤيب مُقدَّما على جميع شعراء هذيل بقصيدته التي يقول فيها :

والنفس راغبة إذا رغَّبتها وإذا تُردّ إلى قليل تَقْنَع

وهذا البيت من شعره المفضل الذي يرثي فيه أبناءه الخمسة الذين أصيبوا في عام واحد ، وقد تنبأ أبو ذؤيب بوفاة النبي ﷺ ، إذ يقول : بلغنا أن رسول الله ﷺ عليل ، فاستشعرت حزنا وبت بأطول ليلة لا ينجاب ديجورها ، ولا يطلع نورها ، فظللت أقاسي طولها ، حتى إذا كان قرب السحر أعفيت ، فهتف لي هاتف وهو يقول :

خطبٌ أجلّ أناخ بالإسلام بين النخيل ومعقد الآطـــام

قبض النبي محمد فعيوننـــا تذرى الدموعَ عليه بالتسحامِ

وعند ذلك وثب أبو ذؤيب من نومه فزعًا ، ثم أتى المدينة مسرعًا ، فوجد لها ضجيج كضيج الحجيج ـ على حد قوله ـ إذا أهلوا بالإحرام ، فعلم أن رسول الله ﷺ قد قُبض ، فشهد الأحداث التي تلت الوفاة جميعًا ، وظل في المدينة حتى صلى على النبي ﷺ وشهد دفنه ، ثم بكى على قبره راثيا فقال :

لما رأيتُ الناسَ في عسلاتِهـــــــم ما بين ملحود له ومُضــــرّحِ

متبادرين لشرجعٍ بأكفهـــــــــم نصّ الرقاب لفقد أبيض أروحِ

فهناك صرت إلى الهموم وَمَنْ يبــتْ جارَ الهموم يبيت غير مــروّحِ

كسفت لمصرعه النجوم وبدرهـــــا وتزعزعت آطام بطن الأبطـــح

وتزعزت أجبالُ يثرب كلهـــــــا ونخيلها لحلوح خطب مفــدح

ولقد زجرتُ الطير قبل وفـــاته   بمصابه وزجرت سعد الأذبحِ

وذجرت أن نعب المشجع سائحًا   متفائلاً فيه بفأل الأقبــــح

وانصرف بعد ذلك أبو ذؤيب إلى باديته ، فأقام بها ، وظل بها حتى انتدبه عمر بن الخطاب للهجاء ، فلم يزل مجاهدًا حتى مات بأرض الروم ، ودفن هناك، ويروى في ذلك أن أبا ذؤيب جاء إلى عمر بن الخطاب في خلافته فقال : «يا أمير المؤمنين : أي العمل أفضل ؟ قال : الإيمان بالله . قال : قد فعلت . فأي العمل بعده أفضل ؟ قال : الجهاد في سبيل الله . قال : ذاك كان عليّ ، فتوجه من فوره غازيًا هو وابنه وابن أخيه أبو عبيد ، حتى أدركه الموت في بلاد الروم . وقيل : إنه شعر بدنو أجله ، لابن أخيه قبيل وفاته مباشرة :

أبا عبيد رُفِعَ الكتابْ   واقترب الموعدُ والحسابْ

وكانت وفاة أبي ذؤيب في خلافة عثمان .

وإذا كان أبو ذؤيب قد أسلم وهو شيخ كبير ، فالذي لا شك فيه أن قيم الإسلام ومعانيه قد تسربت إلى شعره قبل أن يسلم ، وذلك لأن الإسلام في صورة الوحي وحديث النبي ﷺ كان قد انتشر وعمَّ أجزاء الجزيرة العربية ، وكان الشعراء - وهم الطبقة المثقفة بها - أول من تأثر بهذه المعاني ، ولذلك نلمح أثر هذه القيم والمبادئ الإسلامية في شعره بصورة عامة . ولعله من المفيد أن نذكر هنا أبياتًا من قصيدته المشهورة التي يرثى فيها أبناءه الخمسة الذين أصيبوا في عام واحد.

أمِنَ المنونِ وريبها تَتَوَجَّعُ   والدّهرُ ليس بمعتبٍ من يَجْزَعُ

قالت أمامة ما لجسمك شاحبًا   منذ ابتذلت ومثلُ مالك ينفعُ

أم لما لجنبك لا يلائم مضجعًا   إلا أقضَّ عليك ذاك المضجعُ

فأجبتها إن ما بجسمي أنّه   أودى بنيّ من البلاد فودعوا

أودى بنيّ فأعقبوني حسرةً   بعد الرقاد وعَبْرةً لا تُقْلِعُ

فالعين بعدهم كأن حداقها كحلت شوق فهي عور تدمعُ
سبقوا هَوَيَّ وأعنقوا لهواهُمُ فتخرَّموا ولكلِّ جنبٍ مَصْرَعُ
فغبرت بعدهمُ بعيش ناصب وإخالُ أني لاحقٌ مستتبعُ
ولقد حصرتُ بأن أدافع عنهمُ وإذا المنيّةَ أقبلتْ لا تُدفعُ
وإذا المنية أنشبتْ أظفارها ألفيت كلْ تميمة لا تَنْفَعُ
وتجلَّدي للشامتين أُريهمُ أنّي لريبِ الدهرِ لا أتضعضعُ
حتى كأنيّ للحوادث مَرْوَةٌ بصفا المشقر كلَّ يوم تُقرعُ
والدهر لا يَبْقَى على حَدَثانه جونُ السحاب لها جدائدُ أربَع[1]

والقصيدة طويلة نكتفي منها بهذه الأبيات

(١) ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة ، مج ٤ ، مؤسسة التاريخ العربي ودار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د . ت ، ص ٦٦ ، ٦٧ .

أبو سفيان بن الحارث

هو أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي ابن عم رسول الله ﷺ ، وكان أخًا له من الرضاعة ، أرضعتهما معًا حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية . كان أحد الصحابة الذين يشبهون النبي ﷺ .

وقد كان أبو سفيان بن الحارث من الشعراء المطبوعين على قول الشعر ، ولا غرو ، فقد كان أحد الشعراء الخمسة المشهورين في قريش ، الذي هجوا النبي ﷺ ووقفوا في وجه الدعوة الجديدة . وقد تولى حسان بن ثابت الرد عليه ، فهو المعنيُّ بقول حسان :

ألا أبلغْ أبا سفيان عنّي مُغَلْغَلَةً فقد برحَ الخفاءُ
هجوتَ محمدًا فأجبتُ عنه وعند الله في ذاك الجزاء

وسنذكر الشعر كاملاً عن ترجمتنا لحسان بن ثابت.

أسلم أبو سفيان بن الحارث يوم فتح مكة قبل دخولها رسول الله ﷺ ، حيث لقيه هو وابنه جعفر بن أبي سفيان بالأبواء فأسلما [١] .

ويروي ابن اسحاق في السيرة النبوية قصة أخرى في إسلام الحارث ، فيقول: «وقد كان أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن أبي أمية المغيرة قد لقيا الرسل ﷺ بنيق العقاب ، فيما بين مكة والمدينة ، فالتمسا الدخول إليه ، فكلمته أم سلمة فيهما فقالت : يا رسول الله ، ابن عمك وابن عمتك وصهرك ، قال : « **لي حاجة لي بهما ، أما ابن عمي فهتك عرضي وأما ابن عمتي وصهري فهو الذي قال بمكة ما قال** » فلما خرج الخبر إليهما بذلك ومع أبي سفيان بُنيّ له قال: والله ليأذنن لي أو لآخذن بيدي بني هذا ثم لنذهبن في الأرض حتى نموت عطشًا وجوعًا ، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ رق لهما ثم أذن لهما فدخلا عليه

---

(١) ابن عبد البر النمر القرطبي : الاستيعاب في معرفة الأصحاب (على هامش كتاب الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني) ، مج٤ ، مصدر سابق ، ص ٨٤ .

وأسلما » [١] .

وقد حسن إسلام أبو سفيان بن الحارث ، فيقال أنه ما رفع رأسه إلى رسول الله ﷺ حياء منه ، وقد أورد لنا ابن هشام وغيره قصيدة أبي سفيان يوم أسلم، وهو يوم فتح مكة ، حيث يجمع فيها بين الاعتذار والتوقير للنبي ﷺ ، والإيمان برسالته فيقول :

لعمرك إنّي يومَ أحملُ راية — لتغلب خيلُ اللات خيلَ محمد
لكالمدلج الحيران أظلَم ليلُهُ — فهذا أواني حين أَهْدَى وأهتدي
هداني هادٍ غير نفسي ونالني — مع الله من طرّدتُ كلّ مطرّدِ
أصدُّ وأناى جاهدًا عن محمد — وأدعى وإن لم أنتسب من محمدِ
همُ ما همُ من لم يقل بهواهمُ — وإن كان ذا رأي يُلَمْ ويفنّدَ
أريدُ لأرضيهمْ ولَستُ بلائط — مَعَ القومْ ما لمْ أهْدَ في كلِّ مَقْعَدَ
فَقُلْ لثقيف لا أريدُ قتالهاَ — وقل لثقيف تلك غيري أو عدي
فما كنت في الجيش الذي نال عامرًا — وما كان عن جَرّي لساني ولا يدي
قبائلُ جاءت من بلادٍ بعيدة — نزائعُ جاءت من سهامٍ وسَرْددِ

قال ابن إسحاق : فذكر أنه عندما قال : « مع الله طردته كل مطرد » ضرب رسول الله صدره وقال أنت طردتني كل مطردّ .

أشرنا منذ قليل أن أبا سفيان بن الحارث حسن إسلامه ، وأنه لم يكن يرفع رأسه في وجه النبي ﷺ حياء منه ، ولعل الدليل على حسن إسلامه اشتراكه في وقعة حنين ودفاعه المجيد عن النبي ﷺ في تلك الوقعة ، ومن شعره في يوم حنين :

إن ابن عم المرء من أعمامه — بني أبيه قوة من قدامه
فإن هذا اليوم من أيامه — يقاتل الحرمي عن أحرامه

يقاتل المسلم عن إسلامه [٢]

(١) ابن هشام المعافري : السيرة النبوية ، مج٢ ، دار المنار ، القاهرة ، ص ٢١٠ ، ٢١١ .
(٢) ابن حجر العسقلاني ، الإصابة في تمييز الصحابة ، مصدر سابق ، ص ٩٠ .

وعلى الرغم من قلة شعر أبي سفيان بن الحارث بعد إسلامه ، إذا لم يصلنا إلا القليل ، فإن قصيدته في رثاء النبي ﷺ لتدل دلالة كبرى على صدق إسلامه وعمق إيمانه وحبه الصادق للنبي ﷺ . يقول في رثاء النبي ﷺ .

أرقتُ فبات ليلي لا يزولُ ... وليل أخي المصيبة فيه طولُ
فأسعدني البكاءُ وذاك فيما ... أصيبَ المسلمون به قليلُ
لقد عظمتْ مصيبتنا وجلّتْ ... عشية قيل قد قبض الرسولُ
وأضحت أرضنا مما عراها ... تكاد بنا جوانبها تميلُ
فقدنا الوحي والتنزيل فينا ... يروح به ويغدو جبرئيل
وذاك أحق ما سالت عليه ... نفوسُ الناس أو كادت تسيلُ
نبيٌّ كان يجلو الشك عنا ... بما يوحى إليه وما يقولُ
ويهدينا فلا نخشى ضلالاً ... علينا والرسولُ لنا دليلُ
أفاطم إن جزعت فذاك عذر ... وإن لم تجزعي ذاك السبيل
فقبر أبيك سيدُ كلّ قبرٍ ... وفيه سيّدُ الناس الرسولُ

ولأبي سفيان بن الحارث أبيات في الفخر يذكرها ابن عبد البر ، تدل على قوة شعره ، حيث يغفلها روح جاهلية ، يقول :

لقد علمتْ قريش غير فخر ... بإنّا نحنُ أجودهم حصانا
وأكثرهم دروعًا سابغاتٍ ... وأمضاهم إذا طعنوا سنانا
وأدّفَعهم لدى الضراء عنهم ... وأبْينهم إذا نطقوا لسانا

وحسْب أبو سفيان بن الحارث بعد ذلك ، أنه كان من القلة التي دافعت عن الرسول ﷺ يوم حنين ، فلم يجبن ولم يهرب ، وثبت في القتال حتى مَنّ الله على المسلمين بالنصر . أما وفاته فقيل سنة خمس عشرة في خلافة عمر بن الخطاب ، فصلّى عليه ، ويقال سنة عشرين .

أبو طالب بن عبد المطلب

« هو أبو طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، عم رسول الله ﷺ شقيق أبيه ، اشتهر بكنيته ، واسمه عبد مناف على المشهور ، وقيل عمران ، وأكثر المتقدمين على أن اسمه كنيته ، ولد قبل النبي ﷺ بخمس وثلاثين سنة .

تولى أبو طالب رعاية الرسول ﷺ بعد وفاة عبد المطلب ، فكفله وأحسن تربيته وسافر به صحبته إلى الشام وهو شاب ، ولما بعث الرسول ﷺ نبيًا قام في نصرته ، وذبَّ عنه من عاداه ومدحه عدة مدائح » (١) .

وأبو طالب بن عبد المطلب أحد شعراء مكة المعدودين ، وصفة ابن سلام الجمحي في عداد شعراء القرى ، وقال عنه : « وكان أبو طالب شاعرًا جيد الكلام ، أبرع ما قال قصيدته التي مدح فيها النبي ﷺ » (٢) .

ولا خلاف عند القدماء والمحدثين في شاعرية أبي طالب وبراعته في الشعر ، وإنما الخلاف علي كثرة الشعر المنسوب إليه وبخاصة في سيرة ابن إسحاق ، فقد حذف ابن هشام منه الكثير لشكه فيه . والواقع أنه إن لم يكن لأبي طالب إلا قصيدته اللامية التي مدح بها النبي ﷺ لكفته ، والتي منها قوله :

وأبيض يستشفي الغمامُ بوجْهِهِ ربيع اليتامى عصمة للأراملِ

وهي القصيدة التي استحسنها ابن سلام وأورد منها البيت السابق ، وأشار أن الرواة زادوا فيها ، أما ابن هشام فقد أوردها في أربعة وتسعين بيتًا ، وعلَّق بعد روايتها بتمامها قائلا : « هذا ما صح لي من هذه القصيدة ، وبعض أهل العلم بالشعر ينكر أكثرها » (٣) .

---

(١) ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييزالصحابة ، مج٤ ، مصدر سابق ، ص ١١٥ .
(٢) ابن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء، جـ١ ، مصدر سابق ، ص ٢٤٤ .
(٣) ابن هشام : السيرة النبوية ، مج١ ، مصدر سابق ، ص ١٤١ .

ويستحق أبو طالب بن عبد المطلب أن يتصف بشاعر النبي ﷺ لأنه يُعدّ أول من مدح النبي ﷺ ، فقد قال أول قصائده في النبي ﷺ يدافع فيها عنه في وجه قريش ، مرتكزًا في مديحه على أساس قيمة بدوية خالصة هي قيمة النسب الكريم، يقول :

إذا اجتمعتْ يومًا قريشُ لمفخرٍ ... فعبدُ منافٍ سِرُّها وصميمُها
وإنْ حصلَتْ أشراف عبد منافها ... ففي هاشمٍ أشرافُها وقديمها
وإن فخرتْ يومًا فإنّ محمدًا ... هو المصطفى من سِرِّ وكريمها
تداعت قريش غثُّها وسمينُها ... علينا فلم تَظْفرْ وطاشتْ حلومها
وكنّا قديمًا لا نُقِرُّ ظُلامةً ... إذا ما ثَنَوا صُعْر الخدود نُقيمُها
ونحمي حماها كلّ يومِ كريهةٍ ... ونضربُ عن أحجارِها مَنْ يرُومها
بنا انتقشَ العودُ الزواءُ وإنّما ... بأكنافنا تَنْدَى وتَنْمى أرومُها

وعندما اتسعت دائرة الخلاف بين زعماء قريش من جهة وبين الرسول ﷺ من جهة أخرى ، وقف أبو طالب في جانب ابن أخيه وقفة رجل كريم ذي مروءة، وشاعر بليغ مدافعًا بالقول والعمل ، إذ رفض تسليم محمد ﷺ لزعماء قريش ، وتحداهم ومدح ابن أخيه ، وذلك في قصيدته المشهورة التي استحسنها كما أشرنا آنفًا ابن سلام الجمحي. والقصيدة طويلة، سنورد مدحه لشخصية النبي ﷺ، حيث يمزج فيها بين قيم المديح الجاهلية وقيم المديح الإسلامية ، فيعترف بنبوة محمد ﷺ ويشير إلى علاقته ﷺ بالله الذي لا يغفل ، ويؤكد تأييد الله ونصرته لنبيه :

لعمري لقد كلفت وجدًا بأحمد ... وإخوته دأب المحبِّ المواصل
فلا زال في الدنيا جمالا لأهلها ... وزينا لِمن والاه ربُّ المشاكل
فمنْ مِثْلهُ في الناس أيُ مؤمِّلٍ ... إذا قاسَهُ الحكام عند التفاضُلِ
حليمُ رشيدُ عادل غير طائشٍ ... يوالي إلها ليس عنه بغافل
فواللهِ لولا أنْ أجيء بسنةٍ ... تجرُّ على أشياخنا في المحافل
لكنا اتبعناه على كل حالةٍ ... من الدهر جدًّا غير قول التهازُلِ

لقد علموا أن ابننا لا مكذَّبٌ لدينا ولا يُعْنى بقول الأباطل
فأصبح فينا أحمد في أرومة نقصر عنها سَوْرَةُ المتطاولِ
حَدَبْتُ بنفسي دونه وحميتُه ودافعتُ عنه بالذُّرا والكلاكلِ
فأيّده ربُّ العبادِ بنصرِه وأظهر دينا حقُّهُ غير باطل

وعلى الرغم من أن أبا طالب لم يُسلم ، فإنه يُعدّ من أول من دافع عن النبي ﷺ ، وخاصة في مرحلة ما قبل الهجرة .

ولا يعنينا هنا ما أثير حول مسألة إسلام أبي طالب وهل مات على الشرك أم مات مسلمًا ؟ ولكن الذي يعنينا هنا شعره الذي ساند به محمدًا ﷺ ودعوته ، فثمة بيتان بعدهما يعدهما البعض دليلاً على أنه مات مسلما ، يصرح فيهما بنبوته، وبأن دينه خير أديان البرية :

ودعوتني وعلمتُ أنك صادق ولقد صدقتَ فكنتَ قبلُ أمينا
ولقد علمتُ بأنّ دين محمد خيرَ أديانِ البريـة دينا [1]

والذي نركن إليه ونطمئن أن تصريح أبي طالب بنبوة محمد ﷺ بالرغم من كفره كان بمثابة المؤزارة له وتقوية جانبه في وجه أعداء الدعوة ، فقد قال في أبيات أخرى غير هذين البيتين ، يوجه فيها الحديث مباشرة إلى كفار قريش وأعداء الدعوة :

ألا أبلِغا عنّي على ذات بيننا
لؤيًا وخُصّا من لؤيّ بني كعبِ
ألم تعلموا أنّا وجْدنا محمدًا
نبيًا كموسى خُطّ في أول الكُتُبِ
وأن عليه في العباد محبةً
ولا خيرَ ممنْ خصّه الله بالحبِّ

ولما كان أبو طالب عم رسول الله ﷺ رجلاً مهيبًا ذا مكانة رفيعة في المجتمع

(١) ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة ، مصدر سابق ، ص ١١٦ .

المكيّ ، فإن وقع هذه الأبيات على قريش كان مؤلمًا ، فإعلانه صراحة الاعتراف بنبوة محمد ﷺ يعد ضربة قاصمة لأعداء الدعوة المحمدية . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى لعل هذا المديح قد هوّن علي النبي ﷺ بعضًا مما لاقاه من أعداء الدعوة الذين كذبوه واتهموه بالكذب ، من هنا كانت أهمية هذا الشعر الذي نظمه أبو طالب عم النبي ﷺ خير المرسلين .

أبو قيس صرمة بن أنس

« هو أبو قيس صرمة بن أنس من بني عدي بن النجار ، كان في الجاهلية من المتحنفين ويذكر أنه ترهب واتخذ معبدًا له ، وكان لا يدخل بيتًا فيه جنب ولا حائض ، وكان معظَّمًا في قومه » [١] . عاش ما يقرب من مائة وعشرين عامًا . وتروى عنه أشعار قالها في الجاهلية يحض فيها على الخير والتقوى وأعمال البر ، فلما قدم النبي ﷺ المدينة أسلم وحسن إسلامه . ومن شعره الذي يذكر فيه ما أكرم به قومه من نعمة الإسلام وما خصهم الله به من نزول الرسول ﷺ عليهم :

ثوى في قريش بِضعَ عشرةَ حجّة ... يذكّر لَوْ يَلْقَى صَديقًا مُواتيا
ويَعْرِضُ في أهْلِ المواسم نَفْسَهُ ... فلم يَرَ مَنْ يؤْوي ولمْ يَرَ داعيًا
فلما أتانا أظهَرَ اللهُ دينَه ... فأصبحَ مسرورًا بطيبةَ راضيا
وألقى صديقًا واطمأنت به النوى ... وكان له عونا من الله باديا
يقصُّ لنا ما قال نوح لقومه ... وما قال موسى إذ أجاب المناديا
فأصبحَ لا يخشى من الناس واحدًا ... قريبًا ولا يخشى من الناس نائيا
بذلنا له الأموالَ من جُلّ مالنا ... وأنْفسَنَا عند الوغى والتآسيا
ونعلمُ أنّ اللهَ لا شيء غَيْرُهُ ... ونعلم أن الله أفضل هاديا
نعادي الذي عادى من الناس كلّهم ... جميعًا وإن كان الحَبيبَ المُصَافيا
أقول إذا أدعوك في كلّ بيعةٍ ... تباركْتَ قدْ أكثرتُ لاسمك داعيا

والمتأمل في الأبيات السابقة ـ على الرغم من إسلام صاحبها وهو شيخ كبير ـ يجد فيها صدى ومعاني وقيم الإسلام واضحة ، ولعل هذا يرجع ـ في رأينا ـ إلى صدق إسلام أبو قيس من ناحية وإلى تحنفه في الجاهلية من ناحية أخرى ، فمعلوم أن تعاليم الحنيفية لا تختلف في جوهرها عن تعاليم الدين الإسلامي الحنيف .

---

(١) ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة ، مج٢ ، مصدر سابق ، ص ١٨٣ .

ويؤكد رأينا هذا ما ورد من شعره الذي قاله في الجاهلية ، حيث تظهر فيه الكثير من المعاني والقيم التي رسختها الدعوة المحمدية فيما بعد ، فهو القائل .

يقولُ أبو قيسٍ وأصبحَ غاديًا ... ألاما استطعتُم من وَصَاتَي فافعلوا
أوصيِّكُمُ باللهِ والبرِّ والتُّقي ... وأعْراضكُمْ والبرُّ بالله أوَّلُ
إنْ قومكم سادوا فلا تحسدنهّم ... وإن كنتمُ أهل الإياسة فاعدلوا
وإنْ نَزَلَتْ إحْدَى الدَّوَاهي بقومكُم ... فـأنْفُسَكُمْ دُونَ العَشيرةِ فاجْـعَلُوا
وإن ناب غــرْمٌ فـادحٌ فارفُقُوهُمُ ... وما حمّلوكمْ في الملمّات فاحْملُوا
وإنْ أنــتُــمُ امعــرتم فتعــفّنوا ... وإنْ كَانَ فضلُ الخيرِ فيكمَ فأفْضِلُوا (١)

فمثل هذه الوصايا الواردة في الأبيات السابقة ، كالبر والتقوى وعدم التحاسد والعدل والصبر والتجلد والعفة والجود ، كلها قيم وشيم لا تتعارض وتعاليم الإسلام.

وقد رق شعر أبو قيس بعد دخوله الإسلام فأصبح لينًا سهلاً ، والواقع أن أبا قيس صرمة بن أنس يعد مؤرخًا وناظمًا لمبادئ الإسلام في شعره ، وذلك لما قلنا آنفا أنه كان قد تمثل الإسلام في صدره قبل أن يلقى النبي ﷺ ويعلن إسلامه ، يقول أبو قيس صرمة بن أنس رضي الله عنه :

سبِّحُوا الله مشرقَ كلِّ صبَاح ... طَلَعتْ شمسُه وكلّ هلالِ
عالم السرِّ والبيانِ لدَيْنَا ... ليسَ ما قال ربُّنا بضلالِ
وله الطيرُ تستريدُ وتأوِى ... في وكورٍ من آمناتِ الجبالِ
وله الوحشُ بالفلاة تراها ... في حقافٍ وفي ظلالِ الرمالِ
وله هوّدَتْ يهودُ ودَانتْ ... كلَّ دينٍ إذَا ذكرْتَ عُضالَ
وله شمّسَ النصارى وقاموا ... كُلَّ عيدٍ لربِّهم واحتفالَ

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ، مج١ ، مصدر سابق ، ص ٢٧٣ .

وله الراهبُ الحبيسُ تراهُ رهن بؤسٍ وكان ناعمَ البالِ
يا بنيَّ الأرحامَ لا تقطعُوهَا وصلُوها قصيرةً منْ طوالِ
واتقوا الله في ضِعاف اليتامى ربُّما يُستحل غيرُ الحلالِ
واعلموا أنّ لليتيم وليًّا عالمًا يَهْتَدِي بغير السؤالِ
ثم مال اليتيم لا تأكلوهُ إنّ مالَ اليتيم يرعاهُ والي
يا بنّي التخومَ لا تَخزلُوها إن خَزْلَ التخوم ذو عُقَّالِ
يا بني الأيام لا تأمنُوها واحذروا مكرها ومرّ الليالي
واعلموا أنّ مرّها لنفاد الخلق ما كان من جديدٍ وبالِ
واجمعوا أمركُمْ على البرِّ والتقـ ـوى وتركِ الخَنَا وأخذِ الحلالِ

والقصيدة على طولها تكاد تكون نظمًا بسيطًا للمعاني والتعاليم الإسلامية ، ومن هنا عددنا أبا قيس صرمة بن أنس أحد أبرز شعراء الدعوة المحمدية ؛ لأن مثل هذا الشعر البسيط كان بمثابة الدعاية المنظمة الإسلامية .

أبو محجن الثقفي

هو عمرو بن حبيب الثقفي ، وأبو محجن كنيته ، فارس وشاعر له صحبة بالنبي ﷺ ، كان مستهترًا بالشراب ، كثير القول فيه ، فحدّه عمر بن الخطاب مرات ، ثم أخرجه إلى العراق ، فشرب به ، فضربه سعد بن أبي وقاص ، وسجنه في قصر العذيب ، وكان سعد مريضًا في القصر ، فأقام المسلمون في حرب القادسية أيامًا ، ووجهت الأعاجمُ قوما إلى القصر ليأخذوا من فيه ، فاحتال أبو محجن حتى ركب فرس سعدٍ عن غير علمه ،وخرج ، فأوقع بهم ، ورآه سعد ، فلما انصرف بالظفر خلى سبيله وقال : لا أضربك بعدها في الشراب، فقال : فإني لا أذوقها أبدا .

وأبو محجن شاعر مجيد له أبيات جياد تدل على قوة شاعريته ، ومن أشهر أبياته :

لا تسألِ الناسَ عن مالي وكثرتُهُ وسائلَ القومَ عن جودي وعن خلُقي
أعطى السنان غداة الروع حصته وعامل الرمح أرويه من العلق
والقوم أعلُم أني من سَرَاتِهِمُ إذا سما بصر الرِّعديدة الفَرِقِ

ويكاد ينحصر شعر أبي محجن قبل الإسلام في الخمر ، فنجده يمدحها ويصفها ، ولكنه بعد الإسلام يذمها ، ويعنينا هنا أن نورد قوله التالي ، حيث نرى أثر القرآن الكريم :

رأيتَ الخمَرَ صالحةً وفيها مناقبَ تهْلك الرجلَ الحكيما
فلا واللهِ أشربها حياتي ولا أشفي بها أبدًا سقيما

ولعل أبا محجن قد استقى معنى البيت الأول من الآية الكريمة : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾ [البقرة: ٢١٩] كما أنه يستقي معني البيت الثاني من قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ

أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ﴾ [المائدة: ٩١] .

ويعلن أبو محجن توتبه النصوح عن الخمر في الأبيات التالية ، ولعله قالها بعد معركة القادسية التي أبلى فيها بلاء حسنا :

أتوبُ إلى الله الرحيم فإنه غفور لذنب المرء ما لم يعاود
ولستُ إلى الصهباء ما عشتُ عائدًا ولا تابعا قول السفيهِ المعاندِ
وكيف وقد عطيت ربي مواثقًا أعود لها والله ذو العرش شاهدي
سأتركها مذمومةً لا أذوقها وإنْ رغمتْ فيها أنوفُ حواسدي

ونختتم هذه العجالة عن أبي محجن بقوله في الجهاد ، فقد شارك في معركة القادسية مع سعد بن أبي وقاص ، كما أشرنا سابقًا ، فقد كان محبوسا أثناء احتدام المعركة ، فتوسل إلى سلمى زوج سعد أن تطلقه على أن يعود إلى قيده بعد المعركة فأطلقته وأبلى فيها بلاء حسنا ، ثم عاد إلى سجنه ، يقول :

لقد علمتْ ثقيفُ غير فخر بأنّا نحنُ أكرمهم سيوفا
فإن أحبس فقد عرفوا بلائي وإن أطلق أجرعهم حتوفا

أروى بنت عبد المطلب

هي أروى بنت عبد المطلب بن هاشم الهاشمية ، عمة رسول الله ﷺ .

أسلم طليب بن عمير في دار الأرقم ثم خرج ، فدخل على أمه وهي أروى بنت عبد المطلب ، فقال : تبعت محمدًا ،أسلمت لله . فقالت أمه : إن أحق من وازرت وعضدت ابن خالك ، والله لو كنا نقدر على ما يقدر عليه الرجال لمنعناه وذببنا عنه ، فقلت : يا أمه فما يمنعك أن تسلمي وتتبعيه ؟ فقد أسلم أخوك حمزة، فقالت : انظر ما تصنع أخواتي ثم أكون إحداهن ، قال : فقلت : فإني أسألك الله ألا أتيته فسلمت عليه وصدقتيه وشهدت أن لا إله إلا الله فقالت : فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله ، ثم كانت بعد ذلك تعضد النبي ﷺ بلسانها ، وتحض ابنها على نصرته والقيام بأمره . وقول ابن سعد تعضد الرسول ﷺ بلسانها يعني : قول الشعر في زعمنا .

وقد وصلنا من شعرها ما قالته في رثاء النبي ﷺ عقب وفاته ، مثل قولها:

ألا يا عينِ ! وَيْحَكِ أسْعديني بدمعكِ ما بقيتِ وطاوعيني
ألا يا عينِ ويحكِ واستهلّي على نور البلادِ وأسعديني
فإن عَذَلَتْكِ عاذلةٌ فقولي علامَ وفيمَ ويحك تعذُليني؟
على نور البلاد معًا جميعًا رسولِ الله أحمدَ فاتركيني
فإلا تُقْصِري بالعذْل عنّي فلومي ما بدا لك أوْ دَعيني!
لأمرٍ هدّني وأذلّ رُكْني وشيّب بعد جدّتها قُرُوني [(١)]

ولأروى بنت عبد المطلب أبيات أخرى رثت بها النبي ﷺ أيضًا ، وقد أوردها ابن سعد في طبقاته الكبرى ، وهي مثل الأبيات السابقة تظهر فيها قوة العاطفة وصدقها ، حيث تمتزج العاطفة الدينية بعاطفة القرابة والنسب :

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ٤ ، دار صادر ، بيروت ، د ، ت ، ص ٣٢٥ .

ألا يا رسولَ الله كنتَ رجاءنا	وكنتَ بنا برًّا ولَمْ تكُ جافيا
وكنتَ بنا رَوفا رحيما نبِّينا	ليبكِ عليك اليومَ مَنْ كان باكيا
لعمرُك ما أبكى النبيّ لموتهِ	ولكِنْ لهرْجٍ كان بَعدَكَ آتيًا
كأنّ على قلبي لذكرِ محمّدٍ	وما خفتُ من بعد النبِيِّ المكاويا
أفاطم صلّى الله ربّ محمدٍ	على جدثٍ أمسى بيثربَ ثاويا
أبا حَسَنٍ فارقتهُ وتركْتَهُ	فبكِّ بُحْزنٍ آخر الدهرِ شاجيًا
فِدًا لرسولِ الله أمّي وخالتي	وعمّتي ونَفْسي قُصرةً ثم خَاليا
صبرتَ وبلّغتَ الرسالةَ صادقًا	وقُمْتَ صَليبَ الدينِ أبلجَ صافيا
فلو أن ربّ الناسِ أبقاك بَيْنَنَا	سَعدْنا ولكن أمْرُنا كان ماضيًا
عليك من الله السلام تحيةً	وأُدْخِلْتَ جنّاتٍ من العدنِ رَاضيا[1]

(١) ابن سعد ، المصدر السابق ، ص ٣٢٦ .

الأعشى ميمون بن قيس

هو سعد بن ضُبيعة بن قيس ، وكان أعمى ، ويكنى أبا بصير ، وكان أبوه قيس يُدعى قتيل الجوع ، وذلك أنه كان في جبل فدخل غارًا فوقعت صخرة من ذلك الجبل ، فسدت فم الغار ، فمات فيه جوعا .

وكان جاهليًا قديما ، وأدرك الإسلام في آخر عمره ودخل إلى النبي ﷺ ليسلم ، فقيل له : إنه يحرم الخمر والزنا ، فقال : أتمتع منها سنة ثم أسلم ، فمات قبل ذلك بقرية اليمامة . وقيل : إن خروجه يريد النبي ﷺ كان في صلح الحديبية، فسأله أبو سفيان بن حرب عن وجهه الذي يريد ؟ فقال : أريد محمدًا، فقال أبو سفيان : إنه يحرّم عليك الخمرَ والزنا والقمارَ ، فقال : أما الزنا فقد تركني ولم أتركه . وأما الخمر فقد قضيتُ منها وطرًا ، وأما القمارُ فعلّي أصيب منه خلفا ، فقال : فهل لك إلى خير ؟ قال : وما هو ؟ قال : بيننا وبينه هدنة ، فترجع عامك هذا وتأخذ مائة ناقة حمراء ، فإن ظهر بعد ذلك أتيته ،وإن ظفرنا به كنت قد أصبت عوضًا من رحلتك ، فقال : لا أبالي . فانطلق أبو سفيان إلى منزله وجمع له أصحابه، وقال : يا معشر قريش ! هذا أعشى قيس وقد علمتم شعره ، ولئن وصل إلى محمد ليضربن عليكم العرب قاطبة بشعره ، فجمعوا له مائة ناقة حمراء ، فانصرف ، فلما صار ناحية اليمامة ألقاه بعيره فقتله .

ويسمى : صناجة العرب ؛ لأنه أول من ذكر الصنج في شعره فقال :

ومستجيب لصوت الصنج تسمعه إذا تُرجِّع فيه القينة النضلُ

ولد باليمامة في قرية تدعى «منفوحة» أغفل المؤرخون والرواة تاريخ ولادته، ولم يذكروا شيئًا عن نشأته أو شبابه ، لقب بالأعشى لضعف بصره ، ولكن العشا لم يقتصر على هذا الأمر ، بل أدى في النهاية إلى انطفاء النور في مقلتيه .

وقد زعم الأب لويس شيخو أن الأعشى من شعراء النصرانية قبل الإسلام،

وذلك لورود بعض الإشارات إلى النصرانية في أخباره وشعره ، وهي في الواقع ليست بأدلة قوية ، غير أن الذي لا مراء فيه أنه رحل يريد النبي ﷺ حين ظهر الإسلام ، وإن لم يسلم ، حيث صدته قريش عن موافاة النبي ﷺ ، غير أنه كان قد جهز قصيدة دالية لمدح النبي ﷺ ، قال هشام بن القاسم الغنوي وكان علامة بأمر الأعشى : « أنه وفد إلى النبي ﷺ وقد مدحه بقصيدته التي أولها :

ألم تغتمض عَيْنَاكَ ليلَة أرْمَدَا   وعادَكَ ما عاد السليم المسَهَّدا
وما ذاك مِن عِشْقِ النساءِ وإنّما   تناسيتَ قبلَ اليومِ خُلّة مَهْدَدَا

وفيها يقول لناقته :

فآليتُ لا أرْثي لها من كَلالَة   ولا مِنْ حَفًا حتّى تزورَ مُحمّدا
نبيٍّ يرى ما لا ترون وذكرُهُ   أغار لعمري في البلادِ وأنْجَدا
متى ما تناخي عند باب ابن هاشمٍ   تراحي وتلقى من فواصله يدا

غير أن قريش صرفته عن الوصول إلى النبي ﷺ ، ومنها أيضًا :

له صدَقَاتٌ ما تغبُّ ونائلُ   وليس عطاءُ اليومِ مانعهُ غَدَا
أجدك لم تسمعْ وصاة محمدٍ   نبيٍّ الإلهِ حين أوْصَى وأشْهَدَا
إذا أنت لم ترحلْ بزادٍ من التُّقى   ولاقيتَ بعد الموت من قد تزوَّدَا
ندمتَ على أن لا تكون كمِثْلِه   وأنك لم تُرْصِدْ لما كان أرْصَدَا[1]

وسنلاحظ أن الأعشى متأثر بالقرآن الكريم والمعاني الإسلامية في هذه القصيدة ، وكأنه تشرَّب مبادئ الإسلام وآمن به حقًا . وثمة قصيدة على قافية الياء في آخر ديوان الأعشى ، رواها أبو عمر الشيباني وهو ثقة ، غير أن محقق الديوان يرى أنها ليست للأعشى لأسباب منها : أنها ركيكة ، ضعيفة النظم ، وألفاظها غريبة على الأعشى . نقتطف منها الأبيات التالية :

(١) الدكتور حنا نصر الحتي : شرح ديوان الأعشى الكبير ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٩٩٢ ، ص ١٠٢ .

سأُوصي بصيرًا إنْ دنوتُ من البِلَى وكلُّ امرئٍ يَوْمًا سيصبحُ فَانيا
وإنّ تُقَى الرحمنِ لا شيء مثلُهُ فَصبْـرًا إذا تَلْقَى السَّحاقَ الغَرائيا
وربِّكَ لا تشرك به إنّ شِرْكَهُ يَحُطُّ من الخيْرات تلْكَ البواقيا
بل الله فاعبْد لا شريكَ لِوَجْهِهِ يكُنْ لَكَ فيما تكدَحُ اليْومَ رَاعيًا[1]

والقصيدة طويلة تصل إلى ثمانية عشر بيتًا ، وتسير كلها على هذا المنوال في نظم المعاني الإسلامية شعرًا . وكانت وفاة الأعشى في العام السابع للهجرة ، أي في سنة ٦٢١ م ، بعد أن صدته قريش عن موافاة النبي ﷺ .

(١) الدكتور حنا نصر الحتي : المصدر نفسه ، ص ٣٧٣ .

أنس بن زنيم الكناني

هو أنس بن أبي أناس بن زنيم الكناني ، من كنانة من الدؤل رهط أبي الأسود الدؤلي ، وكان أعور ، وأبوه أناس بن زنيم ، شاعر شريف ، وعمه سارية بن زنيم الذي ناداه عمر بن الخطاب من فوق المنبر :

يا سارية الجبل . . الجبل .

أسلم أنس بن زنيم يوم فتح مكة ، وكان من قبل إسلامه أحد الشعراء الذين هجوا النبي ﷺ ، غير أنه لم يكن له شهرة ابن الزبعري ورهط شعراء قريش المعادين للدعوة المحمدية . ومع ذلك فإن أنس بن زنيم صاحب أصدق وأشهر بيت قيل في النبي ﷺ ، وهو قوله :

فما حملتْ من ناقةٍ فوق رحَلها ... أبرّ وأوفى ذمةً من محمدِ

وتجمع المصادر في قصة إسلامه أنه لما قدم وفد خزاعة يستنصرون النبي ﷺ، أخبر عمرو بن سالم الخزاعي زعيم الوفد وشاعرهم النبيَّ ﷺ أن أنس بن زنيم هجاه ، فأهدر النبي ﷺ دمه ، فلما بلغ ذلك الأمر أنس بن زنيم أسرع إلى النبي ﷺ معتذرًا ، وقد وسَّط نوفل بن معاوية الديلي ، فكلم النبي ﷺ فيه ، قال نوفل للنبي ﷺ : أنت أولى بالعفو ، ومَن منا لم يؤذك ولم يعادك ، وكنا في الجاهلية لا ندري ما نأخذ وما ندع ؛ حتى هدانا الله بك ، وأنقذنا من الهلكة ، فقال النبي ﷺ : « **قد عفوت عنه** » .

فقال نوفل : فداك أبي وأمي .

وعند ذلك تقدم أنس بن زنيم من النبي وأنشده قصيدته :

أنت الذي تُهْدَى معَدٌّ بأمْرِه ... بل الله يهديهمْ وقالَ لكَ أشهد

وما حَمَلْت من ناقةٍ فوق رَحْلها ... أبرّ وأوْفَى ذمةً مِنْ محمّدِ

أحثّ على خيرٍ وأسبَغَ نائلاً إذا راح كالسيف الصَّقيل المهنّد
وأكسَ لبُردِ الخالِ قبلَ ابتذاله وأعطى لرأس السابق المتُجرِّد
تعلمْ رسولَ الله أنّك مدركـــــي وأن وعيدًا منك كالأخذِ باليـــــدِ
تعلمْ رسولَ الله أنك قـــــادرٌ على كلِّ صرم متُهمين ومُنجــــد
ونبّوا رسولَ الله أنيّ هجوتــــهُ فلا حملتْ سَوْطي إليّ يــــدِي
سوى أننيّ قد قلت ويلُ أم فتيــةِ أصيبوا بنحسٍ لا بطلْقٍ وأسعـــد
أصابهم من لم يكن لدمائهـــــم كفاءً فعزّتْ عبرتي وتبـــــلُّدي
فإنك قد أخفرت إن كنت ساعيًــا بعبدِ بن عبد الله وابنه مَهْـــــوَدِ
ذؤيب وكلثوم وسَلْمىَ تتابــــعوا جميعًا فإلا تدمع العين أكمــــد
وسَلْمَى وسَلْمىَ ليس حيٌّ كمثلـه وإخوته وهل ملوك كأعْبـــــــُدِ
فإنّي لا دينا فتقت ولا دمًــــا هرقتُ تبيَّن عالم الحقِّ واقصدِ[1]

والمتأمل في الأبيات يجد أن شاعرنا يحاول أن يتنصل من التهمة التي ألصقها به عمرو بن سالم الخزاعي ، على أن أهم ما في الأبيات هو مزج الشاعر في مديحه للنبي ﷺ بين القيم الإسلامية والقيم الجاهلية العربية الأصيلة ، كما تشير الأبيات الأربعة في مقدمة القصيدة . فالرسول ﷺ هادٍ بأمر الله ، وهو رسول من عند الله ، غير أنه في ذات الوقت قادر وبر ووفى وكريم وشجاع . ولا نعرف لأنس بن زنيم أبياتًا أخرى غير هذه القصيدة ، لكن تكفينا هذه القصيدة ، بل يكفينا البيت الذي قال فيه دعبل الخزاعي أنه أصدق بيت قالته العرب في مدح محمد ﷺ ، وهو البيت الثاني في القصيدة .

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ، المجلد الثاني ، مصدر سابق ، ص ٢٢٧ ، ٢٢٨ .

الفصل الثاني

[من حرف الباء- حرف الخاء]



بجير بن زهير

هو بجير بن زهير بن أبي سلمى المزنيّ ، أبوه الشاعر المشهور زهير بن أبي سلمى ، وأخوه كعب بن زهير صاحب البردة المشهورة ، أسلم بجير قبل فتح مكة ، سابقا إلى الإسلام أخاه كعب ، وكان صاحب الفضل في مجيء كعب بن زهير إلى النبي ليعلن توبته واعتذاره وإسلامه .

وبجير بن زهير شاعر مطبوع على قول الشعر ، تخرج في مدرسة أبيه ، مثل أخيه كعب ، بيد أن شهرة الأخير طغت عليه وجعلته خاملاً ، وشعر بجير بن زهير مثبوت في كتب السيرة والأخبار ، وأشهره ما ورد في قصة إسلام أخيه كعب ، غير أن لبجير مقطوعات شعرية أخرى ، قالها في مناسبات مختلفة مثل فتح مكة ويوم حنين وغزوة الطائف ، وهي مقطوعات تنبئ عن صدق إسلامه وتشربه روح الإسلام وتعاليمه وقيمة وتأثر واضح بالقرآن الكريم .

يقول بجير في يوم فتح مكة، معبرًا عن فرحته بالنصر ودخول المسلمين مكة:

نفي أهل الحبلّق كلّ فجّ ... مزينةُ غدوة وبنو خفافِ

ضربناهم بمكة يوم فتح النـ ... ـبي الخير بالبيض الخفافِ

صبحناهم بسبع من سليم ... وألف من بني عثمان وافِ

نطأ أكتافهم ضربًا وطعنًا ... ورشقا بالمريشة اللطافِ

ترى بين الصفوف لها حفيفًا ... كما انصاع الفواق من الرصافِ

فرحنا والجياد تجول فيهم ... بأرماح مقومة الثقافِ

فأبنا غانمين بما اشتهينا ... وآبوا نادمين على الخلافِ

وأعطينا رسول الله منّا ... مواثقنا على حسن التصافي

وقد سمعوا مقالتنا فهمّوا   غداة الروع منا بانصرافِ[1]

وهو شعر يكشف عن قوة شاعرية بجير ، تظهر فيه أثر الصنعة وتغلب عليه روح الجاهلية ، ومع ذلك نلمس أثر الإسلام في سهولة الألفاظ وصدق العاطفة الدينية ، وفي غزوة حنين نلمح أثر الإسلام وعمق الروح الدينية بصورة واضحة ، يقول بجير ، بعد أن منّ الله على المسلمين بالنصر بعد الهزيمة :

لولا الإله وعبده ولّيتمُ   حين استخفّ الرعب كل جبانِ
بالجِزْع يوم حبا لنا أقراننا   وسوابحٌ يكْبُون للأذقان
من بين ساعٍ ثوبة في كفّه   ومقطر بسنابك ولبانِ
فالله أكرمنا وأظهر ديننا   وأعزّنا بعبادة الرحمنِ
والله أهلكهم وفرق جمعهم   وأذلّهم بعبادة الشيطانِ

فالمعاني إسلامية والألفاظ قرآنية ، نسجت نسجًا شعريًا جميلاً ، أبان عن صدق العاطفة الدينية وعن روح الإخلاص للدعوة والفرح بالنصر .

ويبدو أن بجيرًا كان مهتمًا بوصف المعارك ، ولعله كان مقاتلاً أيضًا ، فهو يصف المعركة وصفًا دقيقًا يكشف عن رؤية الأحداث رؤية العين أو اشتراكه فيها ، فيروى له في غزوة حنين هذين البيتين اللذين يشير فيهما إلى طلب العباس بن عبد المطلب من المهاجرين والأنصار العودة إلى القتال مذكرًا بعهدهم للنبي على نصرته في يوم العريض وبيعة الرضوان ، إذ يقول :

إذ قام عمٌّ نبيكم ووليُّـــــه   يدعون بالكتيبة الإيمـــــانِ
أين الذين همُ أجابوا ربّهمْ   يوم العريضة وبيعة الرضـوانِ

ولبجير بن زهير أشعار أخرى يصف فيها بدقة حصار النبي ﷺ لأهل الطائف ويظهر فيها دقة وصف المعارك :

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ، مج ٢ ، جـ ٤ ، مصدر سابق ، ص ٢٢٩ .

كانت عُلالةُ يوم بطن حنيّن وغداة أوطاس ويوم الأرقِ
جمعت بإغواء هوازن جمعها فتبدّدوا كالطائر المتمزقِ
لم يمنعوا منّا مقامًا واحدًا إلا جدارهُم وبطن الخندقِ
ولقد تعرّضنا لكيما يخرجوا فتحصّنوا منّا بباب مُغْلَقِ
ترتدُّ حسرانًا إلىَ رجراجةٍ شهباءَ تلْمع بالمنايا فيلقِ
ملمومة خضراء لو قذفوا بها حصنا لظلّ كأنه لم يُخْلقِ
مشى الضراء على الهراس كأننا قدْرٌ تفرّق في القياد وتلتقي
في كل سابغةٍ إذا ما استحضتْ كالنهي هبت ريحُهُ المترقرق
جُدْلٌ تمسُّ فضولهنّ نعالنا من نسج داود وآل محرقِ

ومثل هذه الأشعار كان لها وقعها الشديد على نفوس الأعداء ، إنها في الأخير سلاح من الأسلحة المؤيدة للدعوة المحمدية .

الجارود بن المعلي بن العلاء

الجارود بن المعلي بن العلاء ، أسلم سنة عشر لما وفد مع وفد عبد القيس ، وقد سُرَّ النبي ﷺ بإسلامه ، قال أنس : لما قدم الجارود وافدًا على رسول الله ﷺ فرح به وقربه وأدناه .

ويقصُّ لنا ابن سعد في طبقاته قصة إسلام الجارود فيقول : كان الجارود شريفا في الجاهلية وكان نصرانيًا ، فقدم على رسول الله ﷺ في الوفد ، فدعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام وعرضه عليه ، فقال الجارود : إني قد كنت على دين وإني تارك ديني لدينك ، أفتضمن لي ديني ؟ فقال رسول الله ﷺ : « **أنا ضامن لك أن قد هداك الله إلى ما هو خير منه** » ثم أسلم الجارود وحسن إسلامه .

وقد وصلنا من شعره بعد إسلامه .

شهدت بأن الله حق وسامحتْ ... بنات فؤادي بالشهادة والنهضِ
فأبلغ رسول الله عني رسالة ... بأني حنيف حيث كنت من الأرضِ
فإن لا تكن داري بيثرب فيكم ... فإني لكم عند الإقامة والخفض
وأجعلُ نفسي دون كل ملمّة ... لكم جُنّة من دون عرضكم عرضي

والأبيات السابقة على قلتها تعد وثيقة مهمة في تاريخ الدعوة المحمدية ، فالشاعر يترك دين النصرانية وهو دين سماوي راسخ في الجزيرة لينتقل إلى الدين الجديد ، كما أن الشاعر يضع نفسه تحت إمرة الرسول ﷺ مؤيدًا له ومدافعًا عنه عند الحاجة ، وهي أبيات قوية نلمح فيها صدق العاطفة . لذلك لن ندهش عندما نرى الجارود بعد ذلك في حروب الردة يقوم بدور كبير ، إذ استطاع أن يقنع قومه بالعودة إلى الإسلام وكانوا قد ارتدوا مع المعرور بن المنذر بن النعمان ، يقول ابن إسحاق : « قام الجارود فتكلم فتشهد شهادة الحق ، ودعا إلى الإسلام ، فقال : أيها الناس إني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ، وأكفر من لم

يشهد قال ابن هشام : ويروى وأكفي من لم يشهد » [1] .

وأنشد الجارود عند ذلك :

رضينا بدين الله من كل حارث وبالله والرحمن نرضى به ربا

أما وفاة الجارود فكانت في عام ٢١ هـ .

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ، مج ٢ ، مصدر سابق ، ص ٣٢٦ .

حسان بن ثابت

هو حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام الخزرجي من سادة قومه ، وأشرافهم ، من بني النجار أخوال الرسول ﷺ « وكانت أمه « الفريعة » خزرجية مثل أبيه أدركت الإسلام وأسلمت وبايعت » (١) . وربما كان حسان بن ثابت « الشاعر الوحيد من بين شعراء الرسول الذي كانت له شهرة واسعة في الجاهلية » (٢) . فكان في شبابه يتردد على ملوك بني غسان في الشام وعلى المناذرة في الحيرة ، شأنه في ذلك شأن الشعراء المحترفين للمدح من أمثال النابغة الذبياني والأعشى. وقد أورد لنا ابن سلام الجمحي في طبقات فحول الشعراء قطعة من شعره في بني جفنة من ملوك غسان ، عدها من شعره الرائع :

لله درُّ عصابة نادمتهم ... يومًا بحلق في الزمان الأوّلِ

يسقُون من وَرَدَ البريص عليهم ... يردى يُصفَّق بالرحيق السلسلِ

يُغشَوْن حتى ما تهر كلابُهمْ ... لا يسألون عن السواد المقبلِ

أولاد جفنة عند قبر أبيهم ... قبر ابن مارية الكريم المفضل(٣)

ولما دخل الرسول ﷺ المدينة أسلم حسان بن ثابت وحسن إسلامه ، فاتخذه الرسول ﷺ شاعره المنافح عن جماعة المسلمين في وجه شعراء قريش ، ويروى في حديث عنه ﷺ أنه قال : « **أمرت عبد الله بن رواحة ، فقال وأحسن ، وأمرت كعب بن مالك فقال وأحسن ، وأمرت حسان بن ثابت فشفى واستشفى** » .

---

(١) ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة ، جـ ١ ، مصدر سابق ، ص ٣٢٦ .

(٢) د . محمود علي مكي : المدائح النبوية ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، لونجمان ، القاهرة ، ١٩٩١ ، ص ١٢ .

(٣) محمد بن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، السفر الأول ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٢ ، ص ٢١٨ .

ويروى أيضًا أنه حينما دعاه النبي ﷺ لهجاء ابن عمه أبي سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب ، سأله : كيف يهجوه ويهجو قومه وهو ـ أي الرسول ـ منهم ؟ فقال : « والله لأسلنك منهم كما يسلُّ الشعر من العجين » وهذا دليل على اقتدار وبراعة . وفوق ذلك دعا له النبي ﷺ ، فقال : « **اللهم أيده بروح القدس** » وبنى له منبرًا في المسجد يقول من فوقه الشعر . وقد امتدت الحياة بحسان بن ثابت بعد وفاة الرسول ﷺ حتى أدرك خلافة معاوية بن أبي سفيان ، وقد قيل أنه عاش ستين عامًا في الجاهلية ومثلها في الإسلام .

قال أبو عبيدة : فُضِّل حسان بن ثابت على الشعراء بثلاث : كان شاعر الأنصار في الجاهلية ، وشاعر النبي ﷺ في أيام النبوة ، وشاعر اليمن كلها في الإسلام ، وكان يقال له : أبو الحسام لمناضلته عن رسول الله ﷺ ، ولتقطبه أعراض المشركين .

وأشهر ما لقب به حسان بن ثابت شاعر الإسلام ورسوله الكريم ، فقد عاش لهما بشعره ووجدانه منذ أسلم زودًا وامتداحًا وحبًا ، وفيهما غرز شعره ، وله في ذلك ديوان ضخم طبع عدة مرات ، وقيل : إن فيه الكثير من الشعر الموضوع ، غير أن الذي يعنينا هنا شعره الذي قاله في النبي ﷺ والإسلام ولا خلاف عليه ، والذي يظهر فيه أثر الإسلام والعقيدة والإيمان الخالص .

كان حسان بن ثابت يمزج في شعره بين المعاني الجاهلية والإسلامية ، ومع تقدمه في الإسلام ظهر أثر القرآن الكريم والمعاني الإسلامية بصورة أوضح ، يقول في هجاء قريش يعيرها بهزيمتها يوم بدر :

فينا الرسول وفينا الحق نتبعـــــه ‏ ‏ ‏ ‏ حتى الممات ونصر غير محدود

مستعصمين بحبل غير منجــــزم ‏ ‏ ‏ ‏ مستحكم من حبال الله ممـــدود

فهو يشير في البيت الثاني إلى قوله تعالى : ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعًا**﴾ .

وشتان بين فخر حسان في شعره الجاهلي وشعره بعد إسلامه ، يقول بعد أن

أسلم :

الله أكرمنا بنصرِ نبيِّه وبنا أقام دعائمَ الإسلام
وبنا أعزّ نبيَّه وكتَابه وأعزنا بالضرب والإقدامَ
يتتابنا جبريل في أبياتنا بفرائض الإسلام والأحكامَ
يتلو علينا النورَ فيها محكمًا قسما لعمرك ليس كالأقسامِ
فنكون أول مستحل حلاله ومحرّم لله كل محرِمِ

والمتأمل في شعر حسان الإسلامي عامة يجده يمزج في قصائده بين أسلوب الجاهلية ومعانيها وأسلوب الإسلام وقيمه ، فيقف على الأطلال وقوفًا سريعًا ، وقد يصف الخمر ، ثم ينتقل إلى الجزء الإسلامي ، فترق ألفاظه ومعانيه ويظهر أثر القرآن لفظًا ومعنى وقيم الإسلام وتعاليمه ، ولعل أشهر قصائده التي يمكن أن تؤكد هذا المنهج المشهور التي يهجو فيها أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، يقول في مطلعها :

عفَتْ ذاتُ الأصابعِ فالجواءِ إلى عذراء منزلها خلاءُ
ديارٌ من بني الحَسْحَاسَ قفرٌ تعفّيها الروامسُ والسماءُ

وبعد ذلك يتحدث عن طيف حبيبته شعشاء ، ثم ينتقل إلى وصف الخمر وصفًا فنيًا ، وهنا يبرز السؤال : كيف سمح الرسول الكريم لشاعر كحسان بوصف الخمر وصفًا صريحًا ؟ والأمر بسيط فقد كان يدرك الرسول الكريم أن وصف الخمر مثل الوقوف على الأطلال ليس إلا تقليدًا فرضته ضرورة اكتمال الصورة الفنية ، ثم يصل الشاعر إلى الجزء الإسلامي من القصيدة :

فإما تُعرِضُوا عنَّا اعتمرنا وكان الفتحُ وانكشفَ الغطاءُ
وإلاّ فاصبروا لجلاء يومٍ يُعزُّ الله فيه من يشاءُ
وجبريلٌ رسول الله فينا وروحُ القُدْس ليس له كِفاءُ

وقال الله قدْ أرسلتُ عبدًا يقولُ الحق إن نفع البلاءُ
شهدتُ به فقوموا صدِّقوهُ فقلتمْ لا نقومُ ولا نشـاءُ

ويلاحظ في هذا المقطع سلاسة الأسلوب ورقة الألفاظ وشيوع المعاني الإسلامية . « وكان هذا أمرًا طبيعيًا لحسان فهو حين يريد التعبير عن عادات الجاهليين ومعانيهم كان يجاري الفحول بأسلوبهم وألفاظهم ومعانيهم ، وحين يريد التعبير عن قيم الدين الحنيف كان يرمق القرآن بعين وسيرة الرسول الكريم بعين »[١] . ثم يخاطب أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب في القصيدة نفسها قائلاً :

الا أبلغ أبا سُفْيَانَ عنِّي فأنْتَ مجوّفٌ نَخِبٌ هواءُ
بأن سيوفنا تركتك عبدًا وعبد الدار سادتها الإماءُ
هجوت محمدًا فأجبتُ عنهُ وعند الله في ذَاكَ الجزاءُ
أتَهْجُوهُ ولستَ لهُ بكفء فشرّكُما لخيركمَا الفِدَاءُ
فمن يهجو رسول الله منكُمْ ويمدَحُهُ وينصُره سواءُ
فإنّ أبي ووالدَهُ وعِرْضى لعِرْضِ محمدٍ منكم وِقَاءُ

أما مديح حسان بن ثابت للنبي ﷺ فيأتي في تضاعيف أهاجيه لقريش أو فخره ، غير أن الأقرب إلى المديح الخالص مراثيه في النبي ﷺ ، حيث يظهر فيها أثر الإسلام ويظهر فيه كذلك حبه للنبي ﷺ . ويشتمل ديوانه المطبوع على أربع قصائد قصار وقصيدة خامسة طويلة ، يشكك بعض النقاد في نسبتها إليه .

يقول في قصيدته الرابعة :

ما بالُ عَيْنكَ لا تَنَامُ كأنّمَا كُحلَتْ مآقيها بكُحْلِ الأرْمَدِ
جزَعا على المَهْدِيّ أصبَحَ ثاويًا يا خيرَ من وطءَ الثرَى : لا تَبْعَدِ

---

(١) فايز ترحيني : الإسلام والشعر ، مرجع سابق ، ص ١١١ .

جنبي يقيك الترب لهفي ليتني غُيِّبتْ قبلك في بقيع الفَرْقَدِ
أأقيمُ بعدك في المدينةِ بَيْنَهمْ يا لهفَ نَفْسِي لَيْتَني لمْ أولَدِ

ونصل إلى مرثيته الأخيرة وهي أطول مراثيه ، إذ تبلغ ستة وأربعين بيتًا أثبتها ابن هشام كاملة في السيرة النبوية . وهي تبدأ بوقوف الشاعر على حجرات الرسول ومسجده ثم قبره ، وما أثار ذلك في نفسه من ذكريات ، وكأن الشاعر أراد أن يوظف المقدمة الطللية المعتادة عند شعراء الجاهلية توظيفًا فنيًا جديدًا ، وهو في كل ذلك يثير عاطفة المسلمين عن غياب النبي ﷺ وفقده في أسلوب سلس مشبع بالمفاهيم الإسلامية من خلال عبارات من آي الذكر الحكيم وأحاديث الرسول ﷺ .

يبدأ قصيدته على النحو التالي [1] :

بِطيبةَ رسْمٌ للرسولِ ومَعْهَدُ مُنيرٌ وَقَدْ تَعفُو الرسومُ وتَهْمُدُ
ولا تَمتَحِي الآيات من دارِ حُرْمةٍ بهَا منبرُ الهادي الذي كان يَصْعدُ
وواضحُ آثارٍ وباقي معالمٍ وربْعٌ لَهُ فيه مُصَلًّى وَمَسْجِدُ
بها حُجُراتٌ كان ينزلُ وَسْطَها من الله نورٌ يستضاءُ ويوقد

وفي ختامها يعدد فضائل النبي ﷺ ويتمنى لقاءه في الجنة ، وهو غاية ما تصبوا إليه نفسه :

وما فَقَدَ الماضونَ مِثلَ محمَّدٍ ولا مِثْلُه حتى القيامة يُفْقدُ
أعفَّ وأوفَى ذِمَّةً بَعْدَ ذِمَّةٍ وأقْرَبَ مِنْهُ نائلاً لا يُنَكَّدُ
وأبْذَلَ مِنْهُ للطريفِ وتالدٍ إذا ضنّ معطاء بما كان يُتْلدُ
وأكْرَمَ صيتا في البيوت إذا انْتَهَى وأكْرَمَ جَدًّا أبطحيًا يسوّدُ
وأمْنَعَ ذرْوات وأثْبَتَ في العُلا دعائمَ عزٍّ شاهقاتٍ تُشيّدُ

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ، جـ ٤ ، مصدر سابق ، ص ٣٨٩ ، ٣٩٠ .

وأَثْبَتَ فرعًا في الفروع ومنبتًا وعودًا غذاه المزن فالعود أعيدُ

رَبَاهُ وليدًا فاستتم تمامُهُ على أكرمِ الخَيْرَاتِ ربٌّ مُمَجَّدُ

تناهتْ وصاةُ المسلمين بكفِّه فلا العِلمُ مَحْبُوسٌ ولا الرأيُ يُفْنَدُ

أقولُ ولا يُلْفِي قولي عَائِبٌ من الناس إلا عازبُ العقل مُبْعَدُ

وليس هوائي فَازِعًا عن ثَنَائِهِ لعلّي به جنّةَ الخُلْدِ أخْلَدُ

مع المصطفى أرجُو بِذَاكَ جوَارَهُ وفي نَيْلِ ذَاكَ اليَوم أسْعَى وأجْهَدُ

وأعتقد أن هذه القصيدة تعد نموذجًا استمد منه شعراء المديح النبوي بعد ذلك بعض التقاليد الفنية في قصائدهم ، كالبوصيري وأحمد شوقي وغيرهما .

الحصين بن الحُمام المرىّ

يضع محمد بن سلام الجمحي الحصين بن الحُمام المرىّ في كتابه طبقات فحول الشعراء في الطبقة السابعة ، ويرجع تأخره إلى هذه الطبقة في ترتيب الشعراء إلى قلة شعره ، مثله في ذلك مثل سلامة بن جندل والمتلمس ، على الرغم من قوة شعرهم فيقول : « أربعة رهط محكمون مقلون ، وفي أشعارهم قلة ، فذاك الذي أخرجهم » (١) .

وكان الحصين بن الحُمام المرىّ سيدًا شاعرًا وفيًا ، فهو يُعد من أوفياء العرب كان سيد قومه ، وصاحب رأيه وقائدهم ورائدهم ، وكان يقال له : مانع الضيم، عاصر النابغة الذبياني . أسلم الحصين بن الحُمام في سن كبيرة ، وكان من صحابة الرسول ﷺ ، تلمح في شعره أنفة وإباء كساهما الإسلام بحب الاستشهاد تحت ظلال السيوف ، فالأبيات التالية تدل دلالة كبيرة على تأثره بالإسلام وتفاعله مع قيمة ومعانيه ، يقول :

ويومٌ تُسعّر فيه الحروبُ لَبِسْتُ إلى الروْع سِربَالها
فلمْ يَبْقَ من ذاك إلا التُّقَى ونفسٌ تعالج آجامها
أمورٌ من الله فوق السماء مقاديرٌ تَنَزّل أنزالها
أعوذُ بربي من المخْزِيا تِ يومَ ترى النفسُ أعَمْالَها
وخَفَّ الموازين بالكافرين وزلزلت الأرض زلزالها(٢)

(١) محمد بن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، السفر الأول ، مرجع سابق ، ص١٥٥ .

(٢) أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني ، دار الشعب ، مج ١٤ ، القاهرة ، ص ٤٨٩١ ، ٤٨٩٢ .

فعلى الرغم من أن شاعرنا عاش ردحًا طويلاً من الزمن في الجاهلية ، وله قصائد تُعد من عيون الشعر العربي تشيع فيها بالحياة والقيم الجاهلية ، فإن أثر القرآن الكريم يظهر هنا ـ في هذه الأبيات ـ بصورة واضحة ، ولكأن الشاعر تشرب روح الإسلام تشربًا فسار في دمه . إذ أن الصلة جليّة بين هذه الأبيات وآي الذكر الحكيم ، من مثل قوله تعالى : ﴿ **واتقوا الله** ﴾ ﴿ **فإن الله يحب المتقين** ﴾ ﴿**فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون** ﴾ ﴿ **إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون** ﴾ ﴿ **هو الذي يحيي ويميت فإذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون** ﴾ ﴿ **وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم**﴾ ثم أخيرًا قوله تعالى : ﴿ **إذا زلزلت الأرض زلزالها** ﴾ وأيضًا ﴿ **فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية وأما من خفت موازينه فأمه هاوية وما أدراك ما هيه نار حامية**﴾ وبالجملة : فالأبيات تُعد صياغة جديدة لألفاظ القرآن الكريم .

الحطيئة

اسمه جرول بن أوس بن مالك بن حبوة بن مخزوم بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عبس العبسي الشاعر المشهور ، يكنى : أبا مليكة [١] قال أبو الفرج في كتابه الأغاني عنه : « كان من فحول الشعراء ومقدميهم وفصائحهم ، وكان يتصرف في جميع فنون الشعر من مدح وهجاء وفخر ونسب ويجيد في جميع ذلك . وعده ابن سلام الجمحي في شعراء الطبقة الثانية مع أوس بن حجر وبشر ابن أبي خازم، وكعب بن زهير ، وقال فيه « كان الحطيئة متين الشعر شرود القافية» [٢] .

لقب بالحطيئة لقصره أو لدمامته ، قال حماد الراوية : لقب الحطيئة لأنه ضرط ضرطة بين قوم ، فقيل له : ما هذا ؟ قال : إنما هي حطأة . فلقب بالحطيئة ، ولد في الجاهلية لأمة تدعى الضراء كانت لأوس بن مالك العبسي ، فنشأ في حجره ، مغموزًا في نسبه ، وقد جعله ذلك قلقًا مضطربًا منذ أخذ يحس الحياة من حوله ، وزاد في اضطرابه وقلقه ضعف جسمه وقبح وجهه ، ولم يكن بالقوة والشجاعة ليتلافى بهما هوان شأنه على نحو ما صنع عنترة بن شداد قبله .

وقوة شعر الحطيئة لا تخطئها عين الناقد البصير ، فقد لزم زهير بن أبي سلمى يعلمه إحكام صنعة الشعر على نحو ما فعل مع ابنيه كعب وبجير ، فالحطيئة من مدرسة زهير التي كانت تعني بالتعبير وتحرص على تصفيته من كل شائبة ، كما تعني بالمعاني ودقتها .

غلب على شعر الحطيئة المديح والهجاء واشتهر بالأخير على نحو واسع حتى

---

(١) ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة ، مج١ ، مصدر سابق ، ص ٣٧٨ .
(٢) محمد بن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء ، السفر الأول ، مصدر سابق ، ص١٠٤ .

ليقال أنه هجا نفسه إذ يقول :

أبتْ شفتاي اليومَ إلا تكلّمــا بسوءٍ فما أدْري لمنْ أنا قائلهْ
أرى لي وجهًا شوَّه الله خَلْقَه فقبِّح من وجهٍ وقبِّح حاملهْ

وإذا كان الحطيئة مغموزًا في نسبه ، فقد غمز في إسلامه أيضًا ، فمنهم من ذهب إلى أنه وفد على الرسول الكريم وأسلم على يديه ثم ارتد مع المرتدين أيام أبي بكر ، ثم تاب مع التائبين . ومنهم من زعم أنه لم يسلم أيام الرسول وإنما ظل على شركه وجاهليته » [١] .

ولعل هذا ما جعل أحد الباحثين يزعم أن الحطيئة « لم يسلم إسلامًا حقيقيًا ، ولم يمس الإسلام شغاف قلبه ، بل عاش في غربة دائمة زادته نقمة على الناس والمجتمع فاتخذ من الإسلام رداءً ، يستر به تعلقه بعادات الجاهلية وتقاليدها ، فكان شديد الحنين إليها ، شديد الامتناع على الإسلام ، فهو غريب في وطنه ، غريب في المجتمع ، له عاداته وتقاليده وللمسلمين قيمهم التي لا تعنيه » [٢] .

وواضح أن الباحث في الفقرة السابقة يقتفي أثر طه حسين ، غير أن الذي نراه نحن ، إن مثل هذا الرأي لا يقبله عقل ، فالإسلام لمثل الحطيئة كان أمرًا عظيمًا ، استفاد من العيش في كنفه ، وقد تأثر به شاء أم أبى ، يدل على ذلك شعره الذي نلمح فيه بوضوح هذا الأثر ، سواء كان هجاء أم مدحًا أم اعتذارًا .

وقد بالغ الرواة في اتهام شخصية الحطيئة بالبخل ، ودناءة النفس كما بالغوا في اتهامه بفساد الدين ، وهذا الذي جعل بعض النقاد المعاصرين يغمزونه في إسلامه ، وينفون عنه أثر الإسلام في شعره ، والواقع أن الحطيئة قد يكون رقيق الدين ، ولكن ليس بفاسده ، يقول الدكتور شوقي ضيف أن : « الحطيئة كان يستشعر الدين في الهجاء بشهادة لسانه » [٣] . فقد خفف الإسلام من حدة

(١) طه حسين : حديث الأربعاء ، جـ١ ، دار المعارف ، القاهرة ، ص ١٢٩ .
(٢) فايز ترحيني : الإسلام والشعر ، مرجع سابق ، ص ١٧٩ .
(٣) شوقي ضيف : العصر الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ٩٩ .

لسانه، ونراه يصرح بذلك ويقول :

ولما أن مدحتُ القومَ قلتم هجوتَ ولا يحلُّ لك الهجاء
لم أك مسلما فيكون بيني وبينكم المودة والإخاءُ
ولم أشتم لكم حسبا ولكن حدوتُ بحيث يُستَمَع الحداءُ

أما في مديحه فنراه يكثر من جزاء الله لممدوحه على ما يقدم له من بره ، على شاكلة قوله في بعض ممدوحيه :

فليجزه الله خيراً من أخي ثقةٍ وليهده بهُدى الخيرات هاديا

وقد يستهل المدح بالثناء على الله مثل قوله :

الحمد لله إنيّ في جوار فتىً حامي الحقيقة نفّاع وضــرّار

ويكفي الحطيئة في الإسلام هذا البيت الذي قال فيه أبو عمرو بن العلاء أن العرب لم تقل بيتًا قط أصدق منه :

مَنْ يفعَلِ الخيرَ لا يعْدَم جوازيه لا يذهبُ العرفُ بين الله والناسِ

ونضيف أنه لولا الإسلام وتأثر الحطيئة به ، لما قال هذا البيت ، فهو أبلغ في الدلالة على حسن إسلامه ، وليس كما يزعم الزاعمون ، ولعل الأبيات الآتية في وصف التقى والعمل الصالح تؤكد زعمنا في حسن إسلام الحطيئة وأثر الإسلام في شعره :

ولستُ أرى السعادة جمعَ مـالٍ ولكن التقىّ هو السعيــدُ
وتقوى الله خيرُ الزاد ذُخــراً وعند الله للأتقى مزيــدُ
وما لا بدَّ أنْ يأتي قريــــبٌ ولكنّ الذي يمضي بعيــدُ

فالسعادة في رأي الحطيئة ليست في الدنيا وجمع المال والمتاع الزائل ، وإنما هي في الآخرة ونعيمها الذي لا يُنال إلا بالتقوى ، فهي السعادة الحقيقية . ولعلنا بعد هذا نكون قد أنصفنا الحطيئة (جرول بن الضراء) .

حميد بن ثور الهلالي

هو حميد بن ثور الهلالي ، « يقال في نسبه حميد بن ثور بن عبد الله بن عامر بن أبي ربيعة بن نهيك بن عامر بن صعصعة » [1] يكنى كثيرًا أبا المثنى ، شاعر مخضرم عاش في الجاهلية ، وقضى الشطر الأكبر من حياته في الإسلام ، ويبدو أنه عمر طويلاً ، ففي شعره من الشكوى والهموم وضعف البصر ، وانحناء الظهر ما يؤخذ منه أنه عمر طويلا حقا ، يقول حميد بن ثور :

ليس الشبابُ عَليكَ مُرْتجعا ... حتى تعودَ كثيبا أمُّ صبّار

مالي قد أصبحتُ آلاً قد تنقضني ... بعض النواكث حبلا بعد إمرار

من بَعْد ما كنتُ فيها ناشئًا غمرًا ... كأنني خارجٌ من بيت عطّار

لقد ركبتُ العصا حتى قد أوجعني ... مما ركبتُ العصا ظهري وأظفاري

لا أبصر الشخص حتى إلا أن أقاربهُ ... مُغْشوشيا بصري من بَعْدِ إبصارِ

فالشباب لن يعود إلا إذا عادت الأرض السوداء ذات الحجارة كثيب رمل ، وقد أصبح الشاعر لكبر سنه كالسراب يحسبه الرائي شيئًا وهو ليس بشيء ، وبعد أن كان صغير السن جميلاً كأنه خارج من عند العطار أصبح لا يسير بدون العصا لكبر سنه وضعف جسمه ، كما أنه عشى بصره ، فلا يستطيع أن يرى الشخص إلا إذا اقترب منه .

ويعد حميد بن ثور من فحول الشعراء المجيدين ، قال عنه المرزباني في معجم الشعراء : « كان أحد الشعراء الفصحاء ، وكان كل من هاجاه غلبه » وقال فيه الأصمعي : « العظماء من شعراء العرب في الإسلام أربعة : راعي الإبل

---

(١) ابن عبد البر القرطبي : الاستيعاب في معرفة الأصحاب على هامش الإصابة لابن حجر العسقلاني ، جـ١ ، مصدر سابق ، ص ٣٦٧ .

النميري ، وتميم بن مقبل العجلاني ، وابن أحمر الباهلي ، وحميد بن ثور الهلالي » (١) .

ويذكر حميد بن ثور عند العلماء والمؤرخين فيمن روى حديثًا عن النبي ﷺ من الشعراء ، ولا يعرف بالضبط تاريخ إسلامه ، غير أن ثمة إجماع على أنه قدم على النبي ﷺ مسلما ، وأنشد بين يديه قوله التالي :

أصبح قلبي من سُلَيْمي مقصدًا   إنْ خطأً منها وإن تَعمُّدا
فحمل الهم كِلازًا جلعدا   ترى العليفي عليها مؤكدا
وبين نِسْعَيْه خِدَبًّا مُلْبِدَا   إذا السرابُ بالفلاةِ اطَّردا
ونَجدَ الماءُ الذي توردا   توردُّ السيدِّ أراد المَرصَدا
حتى أرانا ربنا محمدا   يتلو من الله كِتابا مُرْشدًا
فلم نكذّبْ وخرَرْنا سُجَّدا   نعطي الزكاة ونقيم المسْجِدًا

والمتأمل في هذه الأبيات يجد أن مسحة جاهلية تعلوها لفظًا ومعنى ، غير أنها تؤكد في ختامها على إسلام الشاعر وتصديقه النبي ﷺ . وتروى لحميد بن ثور أبيات أخرى غير هذه الأبيات أنشدها النبي ﷺ عند إسلامه ، وربما في وقت آخر ولكننا لا نجد فيها أثرًا ظاهرًا للإسلام ، كما رأينا في الأبيات السابقة ، وهي أبيات من بائيته التي مطلعها :

مَرِضتُ فلم تحفِلْ عليّ جَنُوبُ   وأدنفتُ والمَمْشى إليّ قريبُ

أما الأبيات التي أنشد النبي ﷺ منها فهي قوله :

فلا يبعد الله الشبابَ وقولنـا   إذا ما صبونا صبوة سنتوبُ
ليالِيَ أبصارُ الغواني وسَمْعُها   إليّ وإذ ريحي لَهُنَّ جنوبُ

(١) عبد العزيز الميمني : ديوان حميد بن ثور الهلالي ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة، ١٩٥١ ، ص (ز) .

وإذ ما يقولُ الناسُ شيءٌ مُهوّنٌ   علينا وإذا غُصْنُ الشباب رطيبُ[1]

ويظهر أثر الإسلام بقوة في شعر حميد بن ثور عندما نجده يصوغ أقوال النبي ﷺ شعرًا ، فيروى أنه سمع قول النبي ﷺ : « لو لم يكن لابن آدم إلا الصحة والسلامة لكفاه بهما داء قاتلاً » ، فأخذه وقال .

أرى بصري قد رابني بعد صحةٍ   وحسبك داء أن تصح وتَسْلَمَا

ولا يلبثُ العصران يومًا وليلـــة   إذا طَلَبا أن يدركا ما تيممـــا

وذكر ابن قتيبة في طبقات الشعراء أنه لم يقل في الكبر شيء أحسن منه .

وقد عمرّ حميد ـ كما أشرنا سابقا ـ فأدرك زمن عمر بن الخطاب ، والأرجح أنه توفى بعد وفاة عثمان بن عفان ، حيث يرد في ديوانه مرثيه له بعد مقتل عثمان رضي الله عنه ، نذكر الأبيات الثلاثة الأولى منها هنا ، ربما لأنها تشير بصورة واضحة إلى أثر الإسلام في شعر حميد بن ثور :

إني وربِّ الهدايا في مشاعرها   وحيث يقضي نذورَ الناس والنُّسُكُ

وربِّ كلِّ منيبٍ بَاتَ مُبْتَهِلا   يَتْلُو الكتابَ اجتهادًا لَيْسَ يَتْرُكُ

لا أنكرِنّ الذي أوْلَيْتَني أبدًا   حتّى أُعدَّ مع الهَلْكَى إذَا هَلَكُوا[2]

---

(١) ابن عبد البر القرطبي : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، مرجع سابق ، ص ٣٦٨ .

(٢) عبد العزيز الميمني : ديوان حميد بن ثور الهلالي ، مصدر سابق ، ص ١١٤ .

خُبيْب بن عدى

هو خُبيْب بن عديٍّ أخو بن جحجبي بن كلفة بن عمرو بن عوف ، أحد الرجال الستة الذين أرسلهم النبي مع قوم من عضل والقارة ليفقههم في الدين ويعلمهم كتابه ، فغدروا بهم عند ماء لهذيل يسمى : الرجيع ، وكان ذلك سنة ثلاث للهجرة ، بعد غزوة أحد ، قُتل أربعة من الستة عند ماء الرجيع ، أما زيد ابن الدثنة وخبيب بن عدى فبِيعا في مكة وقتلا فيها .

ويعنينا هنا مقتل خبيب بن عدى وما قاله من شعر في هذا الموقف . يروي ابن إسحاق في قصة مقتله ، فيقول : ثم خرجوا بخبيب حتى إذا جاءوا به إلى التنعيم ليصلبوه قال لهم : إن رأيتم أن تدعوني أركع ركعتين فافعلوا ، قالوا : دونك فاركع ، فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما ، ثم أقبل على القوم فقال : أما والله لولا أن تظنوا أني إنما طولت جزعًا من القتل لاستكثرت من الصلاة ، فكان خبيب بن عدي أول من سنّ هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين . ثم رفعوه على خشبة فلما أوثقوه قال : اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك فبلغه الغداة ما يصنع بنا، ثم قال : اللهم أحصهم عددًا ، واقتلهم بددًا ، ولا تغادر منهم أحدًا . ثم أنشد الأبيات التالية والناس تنظر إليه قبل قتله ، وقيل أنه قالها عند ما علم أن القوم قد اجتمعوا لصلبه :

لقد جمّع الأحزاب حولي وألّبوا ... قبائلهم واستجمعوا كل مجمع

وكلهم مبدي العداوة جاهدًا ... عليّ لأني في وثاقي بمضيع

وقد جمعوا أبناءهم ونساءهم ... وقربت من جذع طويل مُمنّعَ

إلى الله أشكو غربتي ثم كربتي ... وما أرصد الأحزاب لي عند مصرعي

فذا العرش صبّرني على ما يراد بي ... فقد بضعوا لحمى وقد ياس مطعمي

وذلك في ذات الإله وإن يشأ　　　يبارك على أوصال شلو ممزع(*)
وقد خيروني الكفر والموت دونه　　　وقد حملت عيناي من غير مجزع
وما بي حذار الموت إني لميت　　　ولكن حذاري حجم نار ملفع
فلستُ أبالي حين أُقتل مسلمًا　　　على أي جنبٍ كان في الله مَصْرعي
فلست بمبدٍ للعدوِّ تخشعًا　　　ولا جزعًا إني إلى الله مرجعي(1)

فهذه الأبيات تدل على قوة إيمان وثبات جنانه أمام الموت ، وهو ثبات مرجعه ثبات العقيدة والإخلاص لها . وهكذا نجد أثر الإسلام في النفوس ، فالشاعر هنا لا يرهب الموت أو يحذره فلا يهتم كيف يكون مقتله ، وإنه لخليق بالعربي المسلم أن يتخذ من قول خبيب :

فلستُ أبالي حينَ أقتلُ مسْلما　　　على أيَّ جنبٍ كانَ في الله مَصْرعَي

مثلا يقبس من جذوته كلما أحاطت به الفتن والخطوب ، وشعارًا تخفق به رايته عندما تتألب عليه أحزاب الكفر .

والموت عند خبيب هنا مجرد جسر يعبر عليه إلى حياة الأبدية والخلود رحم الله خبيب بن عدى رحمة واسعة .

(*) الشلو : البقية . الممزع : المقطع .
(1) ابن هشام : السيرة النبوية ، مج2 ، مصدر سابق .

خزاعي بن عبد نُهْم بن عفيف المزني

هو خزاعي بن عبد نُهْم بنون ابن عفيف بن سُحيم المزنيّ ، كان في الجاهلية قبل إسلامه يحجب صنما لمزينة اسمه « نُهْم » ، فلما علم بظهور النبي ﷺ وكان ذلك بعد الهجرة ، كسر الصنم ، ولحق بالرسول ﷺ في المدينة المنورة وأنشده :

ذهبتُ إلى نهم لأذبَح عنـــــده عَتيرةَ نُسْكٍ كالذي كنتُ أفعـلُ
وقلتُ لنفسي حين راجعتُ حَزْمها أهذا إلهٌ أبكمٌ ليس يعقـــلُ ؟
أَبَيْتُ فديني اليومَ دينُ محمـــــدٍ إلهي إلهُ السماءِ الماجدُ المتفضلُ

فبايع النبي ﷺ على الإسلام وكان معه عشرة من قومه فأسلموا معه ، ووعد خزاعي أن يأتي بقومه .

ولكن خزاعيا عندما خرج إلى قومه من مزينة لم يجدهم كما ظن ، فأقام بينهم فترة ، فاستبطأه الرسول ﷺ ودعا حسان بن ثابت ، فقال : اذكر خزاعيا ولا تهجه ، فقال حسان بن ثابت :

ألا أبلغْ خزاعيًّا رسولاً بأنّ الذمّ يغسله الوفاءُ
وأنك خير عثمانَ بن عمرو وأسناها إذا ذكر السناء
وبايعت الرسولَ وكان خيرًا إلى خيرٍ وأدّاك الثراءُ
فما يعُجْزك أو ما لا تُطِقْهُ من الأشياءِ لا تَعْجِزْ عِدَاءُ

وعندما وصل هذا الشعر إلى خزاعي ، فقام في قومه فقال : يا قوم قد خصكم شاعر الرجل فأنشدكم الله ، قالوا : لا ننبوا عليك . فأسلموا ووفدوا على النبي ﷺ ، وقد دفع رسول الله ﷺ بعد ذلك لواء مزينة يوم فتح مكة إلى خزاعي وكانوا يومئذ ألف رجل .

والمتأمل في قصة إسلام خزاعي ووفد مزينة يرى كيف كان تأثير الشعر في الدعوة المحمدية ، سواء من خزاعي أم من حسان بن ثابت شاعر الرسول ﷺ .

الخنساء

هي تماضر بنت عمرو بن الشريد السلمية ، لقبها الخنساء ، والخنساء في اللغة الظبية ، وتكنى أم عمرو ، وهي من شواعر العرب المعترف لهن بالتقدم ، وتُعد في الطبقة الثانية من الشعر .

كانت من أجمل نساء العرب في زمانها فخطبها دريد بن الصمة فارس جشم فرغبت عنه ، وآثرت التزوج في قومها ، كانت في البداية تقول المقطعات من الشعر ، فلما مات أخواها معاوية وصخر انطلقت تقول مطولات الشعر في رثائهما إلى أن توفاها الله في في أول خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه عام٢٤هـ .

لما جاء الإسلام وفدت مع قومها على النبي ﷺ وأسلمت ، وكان النبي ﷺ يعجب بشعرها ويستنشدها ، فيقول : « **هيه يا خناس** » ويومئ بيده ، قيل أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سألها :

ـ ما أقرح مآقي عينيك .

قالت : بكائي على السادات من مُضر .

قال : يا خنساء إنهم في النار .

قالت : ذاك أطول بعويلي عليهم . . إني كنت أبكي لهم من الثأر ، وأنا اليوم أبكي لهم من النار .

وترى الدكتورة عائشة عبد الرحمن ـ بنت الشاطئ ـ في كتابها « قيم جديدة للأدب العربي » الخنساء من الشاعرات اللائي أدركن الإسلام بعد أن نضجت موهبتهن الشعرية واكتمل فنهن ، ففات أوان تأثرهن بالإسلام ، غير أن المتأمل في شعر الخنساء يجد تأثرها بملامح الحياة الإسلامية الجديدة ، تقول في رثاء أخيها صخر :

عاشَ خمسين حجّةً ينكر المنكرُ فينا ويبذلُ المعروفا
رحمة الله والسلام عليه وسقى قبره الربيعُ خريفا

فألفاظ مثل رحمة الله والسلام عليه ألفاظ جديدة .

وتقول في قصيدة أخرى في رثاء صخر أيضًا حيث يظهر إيمانها بوحدانية الله وخلوده :

إنّي تذكرني صخرًا إذا سجعت على الغصون هتوف ذات أطواقِ
وكل عبرة تبيت الليل ساهرة تبكي بكاءَ حزينِ القلب مشتاقِ
لا تكذبنّ فإنّ الموتَ مخترم كلَّ البريةِ غيرِ الواحدِ الباقيَ

وتؤكد على المعنى نفسه في قصيدة أخرى ، فتقول :

لا شيء يبقى غير وجه مليكنا ولست أرى شيئا على الدهر خالدا

ولعل الأبيات التالية يتضح فيها تأثرها الكبير بالمعاني والألفاظ الإسلامية ، إذ تقول في رثاء صخر :

لا يأخذ الخسف في قوم فيغضبهم ولا تراه إذا ما قام محدودا
ولا يقوم إلى أن الفم يشتِمه ولا يدبُّ إلى الجارات تحويدا
كأنّما خلق الرحمنُ صورتَه دينارَ عين يراه الناسُ فيقودا
اذهبْ حريبًا جزاك الله جنّته عنّا وخلّدتَ في الفرْدَوس تخَليدا
قد عشت فينا ولا تُرمى بفاحشة حتى توفاك ربُّ الناس محمودا

أما موقفها يوم القادسية ، سواء قبل ذهاب أولادها الأربعة إلى القتال أم بعد عودتهم شهداء ، فيؤكد على صدق إيمانها بالإسلام ، ولم يظهر على النحو الذي ظهر به في شعرها ، فعندما بلغها خبر قتلهم جميعًا ، قالت : الحمد لله الذي شرفني باشتشهادهم جميعًا في سبيل الله ونصرة دينه ، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر الرحمة . أم قولها ليلة ذهاب أبنائها إلى القتال ، فكان

آية أخرى على صدق الإيمان وقوة العقيدة ، إذ قالت لهم : يا بَنِيَّ إنكم لبنو رجل واحد ، كما أنكم بنو امرأة واحدة ، ما خنت أباكم ولا فضحت خالكم ، ولا هجنت حسبكم ، ولا غيرت نسبكم ، وقد تعلمون ما أعدّ الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين ، واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية، يقول الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] فإن أصبحتم غداً إن شاء الله سالمين فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين وبالله على أعدائه مستنصرين ، فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها واضطرمت لظى علي سياقها وحللت ناراً على أوراقها ، فتيمموا وطيسها وجالدوا رئيسها عند احتدام خميسها ، تظفروا بالغنم والكرامة في دار الخلد والمقامة [١] .

(١) ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ج٤ ، مصدر سابق ، ص ٢٩٦ .

الفصل الثالث

[من حرف الزاي- حرف الضاد]

زهير بن صرد السعدي الجشمي

هو زهير بن صرد السعدي الجشمي من بني سعد بن بكر ، قيل كان يكنى أبا جرول ، وكان رئيس قومه ، وفد على النبي ﷺ في وفد هوازن بعد أن فرغ عليه الصلاة والسلام من حنين ، وكان حينئذ في الجعرانة يميز الرجال من النساء في سبي هوازن ، وعند ذلك تقدم منه زهير بن صرد وكان شاعراً ومتكلما عن القوم، وكانوا قد أسلموا ، فقال :

يا رسول الله ، إنما سبيت منا عماتك ، وخالاتك وحواضنك اللاتي كفلنك، ولو أنا ملحنا للحارث بن أبي شمر والنعمان بن المنذر ثم نزل منا أحدهما بمثل ما نزلت به لرجونا عطفه وعائدته ، وأنت خير المكفولين ، ثم أنشده الأبيات الآتية:

امنن علينا رسول الله في كرم ... فإنك المرء نرجوه وندّخرُ

امنن على بيضة قد عاقها قدر ... ممزق شملها في دهرها غِيَرُ

يا خير طفل ومولود ومنتخب ... في العالمين إذا ما حصل البشر

أبقت لنا الحرب تهتافا على حزن ... على قلوبهم الغماءُ والغمرُ

إن لم تداركها نعماء تنشرها ... يا أرجح الناس حلما حين يختبرُ

امنن على نسوة قد كنتَ ترضعها ... إذ فوك يملؤه من فحضها دَرَرُ

إذ كنت طفلاً صغيراً كنت ترضعها ... وإن يزينك ما تأتي وما تذرُ

لا تجعلنا كمن شالت نعامته ... واستبق منا فإنا معشر زهرُ

يا خير من مرحت كمت الجياد به ... عند الهياج إذا ما استوقد الشرر

إنا لنشكر آلاء وإن كفرت ... وعندنا بعد هذا اليوم مدّخرُ

إنا نؤمل عفواً منك تلبسه ... هذي البرية إذ تعفو وتنتصرُ

فاغفر عفا الله عما أنت راهبه ... يوم القيامة إذ يهدي لك الظفرُ

والأبيات السابقة وهي تستدر عطف النبي ﷺ على القوم باسم القرابة ، ورضاعته صغيراً بينهم ، استطاعت أن تؤثر في النبي ﷺ وتجعله يعفو عنهم ، فاستجاب لطلب زهير بن صرد عارضًا الأمر على الصحابة الذين وافق معظمهم على رد السبي والغنائم لهوازن ، عدا الأقرع بن حابس وعباس بن مرداس السلمي.

سُعدى بنت كرير العبشمية

هي سعدى بنت كرير بن ربيعة بن عبد شمس العبشمية ، خالة عثمان بن عفان الخليفة الثالث وزوج رقية بن رسول الله ﷺ .

وسُعدى هذه كانت السبب الرئيسي في إسلام عثمان بن عفان ، إذ يقول كنت بفناء الكعبة ، فقيل لنا أن محمداً قد أنكح عتبة بن أبي لهب رقية ابنته ، وكانت ذات جمال بارع (كان عثمان مشتهر بالنساء وكان وضيئًا حسنا جميلاً ، أبيض مشربا بصفرة ، جعد الشعر ، له جمة أسفل من أذنيه ، جدل الساقين ، طويل الذراعين) فلما سمعت ذلك دخلتني حسرةٌ أن لا أكون سبقتُ إليها ، فلم ألبث أن انصرفت إلى منزلي ، فأصبت خالتي سُعدى قاعدة مع أهلي ، وكانت قد طرقت وتكهنت لقومها ، قال : فلما رأتني قالت :

أبشر وحييت ثـلاثًا وِتْرًا ثم ثلاثًا وثـلاثًا أخْرَى
ثم بأخرى كي تتمَّ عَشْرًا لقيت خيرًا ووقيت شرًا
نكحت والله حصانا زهرًا وأنت بكرُ ولقيت بِكْرا

قال عثمان : فعجب من قولها وقلت : يا خالة ، ما تقولين ، فقالت :

عثمان يا عثمانُ يا عثمانُ لك الجمال ولك الشانُ
هذا نبيٌّ معـه البرهـانُ أرسـله بـحقِّه الـدَّيَّانُ
وجاءَهُ التنزيلُ والفُرقـانُ فاتبعه لا تفيأ بك الأوثان

فقالت : محمد بن عبد الله رسول الله ،جاء إليه جبريل يدعوه إلى الله ، مصباحه مصباح وقوله صلاح ودينه فلاح ، وأمره نجاح ، لقرنه نطاح ، ذلت له البطاح ، ما ينفع الصباح ولو وقع الرماح ، وسلت الصفاح ومدت الرماح، ويكمل عثمان فيقول : ثم انصرفت ووقع كلامها في قلبي وبقيت مفكرًا فيه ،

وكان لي مجلس مع أبي بكر الصديق فأتيته بعد يوم الاثنين فأصبته في مجلسه ولا أحد عنده ، فجلست إليه فرآني مفكرًا فسألني عن أمري ، وكان رجلاً دقيقًا ، فأخبرته بما سمعت من خالتي . فقال لي : ويحك يا عثمان ، والله إنك لرجل حازم ما يخفى عليك الحق من الباطل .

ثم يذهب أبوبكر بعثمان إلى الرسول ﷺ فيسلم عثمان ، ثم ما يلبث أن يتزوج رقية بنت رسول الله ﷺ .

ولقد أشارت سعدى خالته إلى ذلك في شعرها فقالت :

هدى الله عثمان الصفيّ بقوله ... فأرشدَهُ والله يهدي إلى الحقّ
فتابَعَ بالرأي السديد محمّدًا ... وكان ابن أرْوَى لا يصدُّ عن الحقّ
وأنكحه المبعوثُ إحدى بَنَاته ... فكان كبدرٍ مازجَ الشمسَ في الأفقِ
فداك يا ابن الهاشميين مُهْجتَي ... فأنت أمينُ الله أرْسِلتَ في الخلْقِ

واضح من شعرها إيمانها بالبعث وبرسالة محمد ﷺ ؛ لذلك فقد ذكرها ابن حجر في الإصابة وعدها من الصحابيات [١] .

---

(١) ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة ، ج ٤ ، مصدر سابق ، ص ٣٢٧ ، ٣٢٨ .

سواد بن قارب الدوْسيّ

هو سواد بن قارب الدوسي أو السدوسي ، صحب النبي ﷺ وكان في الجاهلية شاعراً كاهنا ، ثم أسلم وترك الكهانة ، وكان يكره أن يذكر بها ، داعبه عمر بن الخطاب يومًا ، فقال له : ما فعلت كهانتك يا سواد ؟ فقال سواد : يا أمير المؤمنين ما قالها لي أحد قبلك . فاستحيا عمر ثم قال : إيه يا سواد ! الذي كنا عليه من الشرك أعظم من كهانتك (١) ، ثم سأله عمر عن بدء إسلامه ! كيف كان؟

قال سواد : فإني كنت نازلاً بالهند ، وكان لي رئيٌّ من الجن . فبينما أنا ذات ليلة نائم إذ جاءني في منامي ذلك ، قال : قم فافهم واعقل إن كنت تعقل ، قد بعث رسول من بني لؤيّ بن غالب ، ثم أنشأ يقول :

عَجِبْتُ للـــجنِّ وأنجاسِها   وشدّها العيـــس بأحلاسها
تهوي إلى مكة تبغي الهدى   وما مؤمنوها مثل أرجاسها
فانهض إلى الصفوةِ من هاشم   واسمُ بعينك إلى رأسها

ثم أنبهني وأفزعني وقال : يا سواد بن قارب إن الله عز وجل بعث نبيًا ، فانهض إليه تهتد وترشد !! فلما كان في الليلة الثانية أتاني فأنبهني ، ثم أنشأ يقول ذلك :

عجبت للجنِّ وتطلابها   وشدّها العيـــس بأقتـــابها
تهوي إلى مكة تبغي الهُدَى   ليـــس قَدَامَاهَا كأذنابـــها
فانهضْ إلى الصفوة من هاشم   ما مؤمنو الجن ككفّارهـــا

قال : فلما سمعته يكرر ليلة بعد ليلة وقع في قلبي حب الإسلام من أمر

(١) ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، مج ٢ ، مصدر سابق ص ١٢٣ .

النبي ﷺ ما شاء الله .

وقد جعل هذا سواد يسرع بالحضور إلى النبي ﷺ في المدينة ، يقول سواد : فانطلقت إلى رحلي فشددته إلى راحلتي فما حللت تسعة ولا عقدت أخرى حتى أتيت النبي ﷺ ، فإذا هو بالمدينة والناس عليه كعرف الفرس ، فلما رآني النبي ﷺ قال : « **مرحبا يا سواد بن قارب ! قد علمنا ما جاء بك** » .

أما سواد فقال : يا رسول الله : قد قلت شعراً فاسمعه مني .

يقول سواد :

أتاني نجيٌّ بعد هدوء ورقدة ... ولم يك فيما قد بلوتُ بكاذب

ثلاثُ ليالٍ قولُهُ كلَّ ليلة ... أتاك نبيٌّ من لؤيٍّ بن غالبِ

فرفعتُ أذيالَ الإزار وشمرَت ... بي الفرسُ الوجناء بين السباسب

فأشهدُ أن الله لا ربّ غيره ... وأنّك مأمونٌ على كلِّ غائبِ

وأنَّك أدْنى المرسلين وسيلةً ... إلى الله يا ابن الأكرمين الأطايب

فَمُرنا بما يأتيك من وحى ربنا ... وإن كان فيما جئت شيب الذوائب

وكن لي شفيعًا يومَ لا ذو شفاعة ... بمغنٍ فتيلاً عن سواد بن قارب

والأبيات على قوتها وجودة سبكها ، إعلان صريح بنبوة النبي ﷺ وشفاعته، وقبل هذا توحيد الله جل شأنه ، وقد قيل أن النبي ﷺ لما سمع هذا الشعر ضحك حتى بدت نواجزه ، وقال لسواد : « **أفلحت يا سواد** » .

الشيماء بنت الحارث

هي جدامة بنت الحارث بن عبد العُزى بن رفاعة ، ينتهي نسبها إلى سعد بن بكر فهوازن ، وتلقب بالشيماء ، والشماء ، فغلبت صفتها على اسمها . وقد كانت الشيماء تحتضن رسول الله ﷺ مع أمها وتوركه وهو طفل رضيع ، فهي أخت الرسول ﷺ من الرضاع .

وفي يوم هوازن (حنين) انهزمت هوازن التي منها بنو سعد بن بكر ووقع منهم أسرى كثيرون وسبايا كثيرات ، وكان من بين السبايا الشيماء بنت الحارث ، فقالت لبعض جيش المسلمين : أنا أخت صاحبكم ، فلما قدموا بها إلى رسول الله ﷺ قالت : يا محمد أنا أختك من الرضاع . فقال رسول الله ﷺ : « **وما علامة ذلك ؟** » قالت : عضة عضضتها في ظهري وأنا متوركتك ، فعرف رسول الله ﷺ العلامة ، فبسط رداءه وأجلسها عليه ودمعت عيناه ، ثم قال لها : « **إن أحببت فأقيمي عندي محببة مكرمة ، وإن أحببت أن أمتعك فارجعي إلى قومك**» ، فقالت : بل تمتعني وتردني إلى قومي فمتعها وردّها إلى قومها فأسلمت وأعطاها رسول الله أنعما وشاء وثلاثة أعبد وجارية .

وبنو سعد بن بكر الذين رُبي فيهم رسول الله ﷺ رضيعًا وغلامًا معروفون بالفصاحة ، بل إن الرسول يقرر ذلك في قوله : « **أنا أفصح العرب ، بيد أني من قريش وربيت في بني سعد بن بكر** » لذلك لن نعجب إذا علمنا أن أخته من الرضاعة . الشيماء بنت الحارث كانت ترتجل الشعر والرجز في صغرها وكبرها وكذلك كان رجال القبيلة فصحاء شعراء ، حتى أن رئيس القوم ، أبا جرول الجشمي يقول : أسرنا النبي ﷺ يوم حنين ، فبينما هو يميز الرجال من النساء إذ وثبتُ ووقفت بين يديه وأنشدته :

امنن علينا رسول الله في حرم فإنّك المرءُ نرجوه وننتظرُ
امننْ على نسوةٍ قد كنت ترضعها يا أرجح الناس حلما حينُ يختبرُ
إنّا لنشكر للنّعمى إذا كفرت وعِنْدنا بعد هذا اليوم مدّخرُ

فأبو جرول هنا يذكّر الرسول بنشأته في هوازن ورضاعته ، لذلك يعفو عنهم ومن بينهم بالطبع الشيماء ، كما أشرنا سابقًا .

أما الشيماء بنت الحارث فقد شغلت بأخيها محمد ﷺ حبا ، وشغفت به عطفًا فمن شعرها فيه قوله مرتجزة :

محمـــــدٌ خيرُ البـــــــشرْ مِمَنْ مَضَى ومَـــــــنْ غَبَرْ
من حجَّ منهم أو اعتـــــمرْ أحسن مِنْ وجـــــه القمر
مِنْ كــــلِّ أنـــثى وذَكَرْ مِنْ كلِّ مشـــــبوب أغَرْ
جنّبنـــي اللهُ الغـــــير فيه وأوضح لي الأثــــــرْ

ومن رجزها الجميل قولها في الرضيع محمد وهي ترقصه، أي تغني له طفلا :

هذا أخٌ لي لم تلـــــــده أمي وليس من نسل أبي وعمي
فديته مـــــــــن مغولٍ مُعمِّ فأنمه اللهمّ فيــــما تُنمى

ونمضي ما وصل إلينا من شعر الشيماء بنت الحارث في الرسول ﷺ وهو للأسف قليل ، فنختم بهذا الدعاء الطيب الرقيق ، الذي يعد من نفيس شعرها فتقول :

يا ربنا أبق أخي محمدًا حتى أراه يافــــــعًا وأمرَدَا
واكبت أعاديه معًا والحسدا وأعْطه عِـــــزًا يـــــدومُ أبَدَا

صفية بنت عبد المطلب

هي صفية بنت عبد المطلب عمة الرسول ﷺ وشقيقة حمزة بن عبد المطلب أسد الله الذي استشهد في يوم أحد ، ووالدة الزبير بن العوام رضي الله عنه ، إحدى شاعرات قريش المشهورات ، روى لها ابن إسحاق في سيرته شعراً في أبيها عبد المطلب ترثيه قبيل موته ، وهو شعر يدل على تمكنها من فن الشعر ونرى فيه أثر البيئة الجاهلية واضحا ، تقول رضي الله عنها :

أرقتْ لصوتِ نائحةٍ بليلٍ ... على رجلٍ بقارعةِ الصعيدِ
ففاضت عند ذلكمُ دموعي ... على خدّى كمنحدر الفريدِ
على رجلٍ كريمٍ غيرِ وغلٍ ... له الفضل المبينُ على العبيد

ثم تعدد صفاته الكريمة مما يذكرنا برثاء الخنساء وأخويها ، فتصفه بالشجاعة والسيادة والشرف والجود والحلم وغيرها من صفات العرب المثالية ، ويعنينا في هذا المقام أن نذكر شعرها الذي قالته في الإسلام ، حيث تظهر فيه المعاني الإسلامية وأثر الإيمان به وتعاليمه ، فأول شعرها في ذلك رثاؤها أخاها حمزة بن عبد المطلب سيد الشهداء في أحد ، حيث تقول :

أسائلةٌ أصحابَ أحد مخافةً ... بناتُ أبي مَنْ أعجمٍ وخبير
فقال الخبير إن حمزة قد ثوى ... وزير رسول الله خير وزيرِ
دعاه إله الحق ذو العرش دعوة ... إلى جنّة يحيا بها وسرورِ
فذلك ما كنّا نرجي ونرتجي ... لحمزة يوم الحشر خير مصيرِ
فوالله لا أنساك ما هبت الصبا ... بكاء وحزنا محضري ومسيري
على أسد الله الذي كان ... يزود عن الإسلام كل كفور

فيالت شلْوي عند ذاك وأعظمي لدى أضبع تعتادني ونسور
أقول وقد أعلى النعيّ عشيرتي جزى الله خيرًا من أخ ونصير(١)

فالشاعرة استلهمت في البيت الثاني قوله تعالى : ﴿ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي﴾ [طه:٢٩] .وفي البيت الثالث قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ﴾ [البقرة:٨٢] . وقوله تعالى أيضًا : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران:١٦٩].

والأبيات فوق ذلك تفيض بعاطفة قوية يعززها الصدق وروعة الفن الشعري، وعلى الرغم من ذلك كانت صفية ثابتة الجنان عندما قُتل حمزة ، فقد روى ابن إسحاق أنها لما علمت بمقتل حمزة وتمييز هند بنت عتبة بجثته أرادت أن تراه ، ولما أراد رسول الله ﷺ منعها من رؤيته قالت : لأحتسبن وأصبرن إن شاء الله ، فسمح لها الرسول ﷺ ، فأتته ـ أي حمزة ـ ونظرت إليه وصلت عليه وبكت واستغفرت له.

أما رثاؤها لخير البشر محمد ﷺ ـ ويبدو أن أغلب شعرها كان في الرثاء ـ فيعد من عيون الشعر النسائي العربي في هذا الغرض ، مما يذكرنا بالخنساء ورثائها لأخيها صخر ، وقد أورد لنا ابن سعد في طبقاته ست مقطوعات من شعرها ، تصل في مجموعها إلى خمسين بيتًا ، نورد بعضها هنا ، ولعلنا سنلاحظ أن شعرها بعد دخولها الإسلام أصابته رقة لفظ وسهولة في التراكيب ، تقول :

أعيني جودًا بدمـــــــــــع سَجَمَ يبادر غربا بما منهــــــــدم
أعيني فاستحضرا واسكبـــــــا بوجدٍ وحزن شديد الألــــــمْ
على صفوة الله رب العباد رب السماء وباري النســــم
على المرتضى للهدى والتقى وللرشد والنور بعد الظــــلم
على الطاهر المُرْسَلِ المجتبى رسول تخيره ذو الكــــــرم

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ، المجلد الثاني ، مصدر سابق ، ص ٦٢ .

ونمضي مع صفية بنت عبد المطلب في مقطوعة أخرى فنجدها تحرص في رثائها على ذكر صفات النبي ﷺ ، فتقول :

عين جودي بدمعة تسكاب للنبي المطهّر الأواب
واندبي المصطفى فعمّي وخُصّي بدموعٍ غزيرة الأسراب
عين من تندبين بعد نبيّ خصة الله ربنا بالكتاب
فاتح خاتم رحيم رؤوف صادقِ القيل طيب الأثوابِ
مشفق ناصح شفيق علينا رحمة من إلهنا الوهاب
رحمة الله والسلام عليه وجزاه المليك حسن الثواب[١]

والمتأمل في الأبيات السابقة ، وما ذكر قبلاً من رثائها لأخيها حمزة بن عبد المطلب ليلحظ أثر الثقافة القرآنية التي قبست منها الشاعرة صفات الرسول ﷺ ومهمته في الكون . هذا إلى جانب صدق العاطفة والشاعرية الفياضة بجماليات الشعر العربي .

وقد أورد بن عبد البر لصفية أبياتًا في رثاء النبي ﷺ غير التي في طبقات ابن سعد وهي أبيات قوية أقرب إلى أسلوب الشاعر الذي رأيناه في رثائها لأخيها حمزة ، تقول :

ألا يا رسول الله كنت رجاءنا وكنتُ بنا برًا ولم تك جافيا
وكنتَ رحيما هاديا ومعلمًا ليبك عليك اليوم من كان باكيًا
لعمرك ما أبكي النبي لفقده ولكن لما أخشى من الهرج آتيا
كان على قلبي لذكر محمد وما خفت من بعد النبي المكاويا
أفاطم صلى الله رب محمدٍ على جدث أمسى بيثرب ثاويا
فدا لرسول الله أمي وخالتي وعمى وآبائي ونفسي وماليا

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، مج ٢ ، دار صادر ، بيروت ، ص ٣٢٨ ، ٣٢٩ .

صدقت وبلغت الرسالة صادقا ... ومت صليب العود أبلج صافيا

فلو أن رب الناس أبقى نبينا ... سعدنا ولكن أمره كان ماضيًا

عليك من الله السلام تحية ... وأدخلت جنات من العدن راضيا

أرى حسنا أيتمته وتركته ... يبكي ويدعو جده اليوم نائيًا[١]

وقد توفيت صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها ولها ثلاث وسبعون سنة ودفنت بالبقيع .

(١) ابن عبد البر : الاستيعاب في تمييز الأصحاب ، مج١ ، مصدر سابق ، ص ٣٦، ٣٧.

الصلصال بن الدّلهمس بن جندلة

هو الصلصال بن الدلهمس بن جندلة بن المحتجب بن الأعز بن الغضنفر بن تيم بن ربيعة بن نزار أبو الغضنفر (١) أحد الصحابة الذين قدموا على النبي ﷺ مع وفد بني تميم ، وعندما أوصاهم النبي ﷺ ، قال قيس بن عاصم الذي أعجبه كلام النبي ﷺ : وددت لو كان هذا الكلام أبياتًا من الشعر ، نفتخر به على من يلينا ، وندخرها . فأمر النبي ﷺ بأن يأتوه بحسان بن ثابت ، وعند ذلك قال الصلصال : يارسول الله قد حضرتني أبيات أحسبها توافق ما أراد قيس ، فقال له النبي ﷺ : « **هاتها** » . فقال :

تجنب خليطًا من مقالك إنما ... قرينُ الفتى في القبر ما كان يفعلُ

ولابد بعد الموت من أن تعده ... ليوم ينادى المرءُ فيه فيقبلُ

وإن كنت مشغولا بشيء فلا تكن ... بغير الذي يرضى به الله تشغلُ

ولن يصحب الإنسان قبل موتهِ ... ومن بعده إلا الذي كان يعمل

ألا إنما الإنسان ضيف لأهله ... يقيم قليلاً بينهم ثم يرحل

والمعاني في الأبيات السابقة إسلامية لا شك في ذلك ، فهي في الأصل صياغة شعرية لأقوال النبي ﷺ ، لذلك تُعد أشعار الصلصال بن الدلهمس من أشعار الدعوة الإسلامية ولا يعرف له شعرًا غير هذه الأبيات .

(١) ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة ، مج٢ ، مرجع سابق ، ص ١٩٣ .

ضرار بن الأذود

هو ضرار بن الأذود بن مرداس الأسدي ، كان فارسًا شجاعًا [١] ، له صحبة بالنبي ﷺ ، وهو الذي قتل مالك بن نويرة سنة ١٣هـ ، بأمر من خالد بن الوليد. وقد أبلى يوم اليمامة بلاء عظيمًا ، حتى قطعت ساقاه جميعًا ، فجعل يحبو ويقاتل حتى وطأته الخيل ومات . وقيل أنه قتل بأجنادين في خلافة أبي بكر ولكن الأشهر أنه مات في اليمامة .

ويعنينا هنا ما قاله من شعر في النبي ﷺ .

رُوي عن ضرار نفسه أنه قال : أتيت النبي ﷺ فقلت : امدد يدك أبايعك على الإسلام ، ثم قلت :

خلعت القداحَ وعزف القـــيا ن والخمرُ أشربها والثمالا
وكرى المحـــبر في غـــمرة وجهدي على المشركين القتالا
وقالت جميـــلة بددتـــنا وطرحت أهلك شتى شمالا
فيا رب لا أغبنن صـــفتي فقد بعت أهلي ومالي بدالا[٢]

ويروي ابن عساكر أن ضرار أقبل على النبي وقد خلّف ألف بعير برعاتها أما النبي ﷺ فقد قال لضرار بعد أن سمع هذا الشعر :

« ما غبنت صفقتك يا ضرار »

وربحت الصفقة ؛ فقد أبلى ضرار في الإسلام بلاء حسنا ، فشارك في حرب اليمامة وقيل في أجنادين ، حتى مات في أرض القتال فهو شهيد .

---

(١) ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، مج٢ ، مصدر سابق ص ٢١١ .
(٢) ابن عبد الر ، المصدر نفسه ، ص ٢١١ .

ضرار بن الخطاب الفهريّ

هو ضرار بن الخطاب بن مرداس بن كثير بن عمرو بن سفيان بن محارب بن فهر القرشي الفهري ، كان أبوه الخطاب بن مرداس رئيس بني فهر في زمانه ، أما هو فكان شاعرًا فارسًا ، قال شعرًا كثيرًا في رثاء مشركي مكة والدفاع عنهم ، وكان ذلك قبل إسلامه ولم يكن في قريش أشعر منه ، ويأتي في المرتبة الثانية بعد عبد الله بن الزبعري . كما أنه أحد الأربعة الذين وثبوا الخندق .

أسلم ضرار بن الخطاب يوم فتحة مكة وحسن إسلامه ، أما ما قاله من شعر بعد إسلامه فقليل ، وقد جاشت شاعريته يوم فتح مكة ، تعصبا لقريش وخوفًا عليها ، عندما مرّ سعد بن عبادة بأبي سفيان حاملاً راية رسول الله النبي ﷺ ، إذ كان يقول : اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحرمة ، اليوم أذل الله قريشًا .

ومثل هذا القول من سعد أثر في ضرار تأثيرًا كبيرًا ، فكتب الأبيات التالية ليستعطف رسول الله ﷺ ، ولكي يكون الشعر أوقع في نفس ﷺ جعل امرأة تنشده معترضة رسول الله ﷺ :

يا نبي الهدى إليك لجا ... حيٌّ قريش ولات حين لجـــاء

حين ضاقتْ عليهم سعةُ الأ ... رضِ وعاداهم إلهُ السمـــاءِ

والتقت حلقتا البطان على القو ... م ونودوا بالصيلم الصلصـــاءِ

إن سعدًا يريد قَاصمة الظهر ... بأهلِ الحجُون والبـــطحاءِ

خزرجيٌّ لو يستطيع من الغيظ ... دمانا بالنـــسرِ والعـــواءِ

وغرُ الصدر لا يهمُّ بشيء ... غير سفكِ الدما وسبي النساءِ

قد تلظى على البطاح وجاءت ... عنه هند يا لسوءة الســـواء

إذ ينادي بذلٍّ حيٍّ قريش ... وابن حرب بذا من الشهـــداء

فلئن أقحم اللواء ونـــــادى	يا حماة الأدبار أهل اللـــــواءِ
ثم ثابت إليه من بُهْم الخـــــز	رج والأوس أنجم والهجـــــاءِ
لتكونن بالبطاح قريــــــش	فقعة القاع في أكفِّ الإمــــامِ
فانهينه فإنه أسد الأســـــو	د لدى الغاب والغ في الدمــــاءِ
إنه مطرق يريد لنا الأمـــــــ	ـر سكوتا كالغية الصمــــاءِ

يمكن أن نلمح في البيت الأول أن الشاعر يستقي قوله من الآية الكريمة : ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ﴾ [التوبة: ٣٣] . غير أن الأثر الأكبر لهذا الشعر في نفس الرسول ﷺ استدرار عاطفة القرابة والنسب ، لقد رق النبي ﷺ واستجاب لطلب ضرار ، فنزع اللواء من يد سعد بن عبادة وجعله إلى ابنه قيس ابن سعد ، وقد نلمس في هذه الاستجابة حب النبي ﷺ لأهله وعشيرته من قريش ، لكن أين هذا من قوله ﷺ لقريش : « **اذهبوا فأنتم الطلقاء** » . وقد أسلم ضرار بن الخطاب وحسن إسلامه، فكان يذكر ما كان من مشاهدته القتال ومباشرته له ، فيترحم على الأنصار ويتذكر بلاءهم ومواطنهم وبذلهم أنفسهم لله في تلك المواطن الصالحة ، وكان يقول : الحمد لله الذي أكرمنا بالإسلام ومنّ علينا بمحمد ﷺ ، أما وفاته فكانت في اليمامة حيث قتل بها شهيداً .

الفصل الرابع

[حرف العين]

١. عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل
٢. عباد بن بشر
٣. العباس بن عبد المطلب
٤. العباس بن مرداس السلمي
٥. عبد الله بن الحارث السهمي
٦. عبد الله بن رواحة
٧. عبد الله بن الزبعري
٨. عسكلان بن عواكن الحميري
٩. عمرو بن الجموح الأنصاري
١٠. عمرو بن سالم الخزاعي

عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل

هي عاتكةُ بنت زيد بن عمرو بن نفيل العدوية أخت سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة . كانت من المهاجرات ، تزوجها عبد الله بن أبي بكر ، وكانت حسناء جميلة فأولع بها وشغلته عن مغازيه ، فأمره أبوه بطلاقها ، فقال :

يقولون طَلِّقها وخيِّمْ مكانها مُقيما تمنّى النفسَ أحلام نَائمِ
وإنّ فراقي أهلَ بيتٍ جمعتهم على كرهٍ منّي لإحدَى العظائمِ
أراني وأهلي كالعجولِ تروّحتْ إلى برِّها قبل العشار الروائمِ

ثم عزم عليه حتى طلقها، فتبعتها نفسه ، فسمعه أبوه يقول يوما :

ولم أر مثلي طلق اليوم مثلها ولا مثلها من غير جرم تطلق

فرق له أبوه وأذن له فارتجعها ، ثم لما كان حصار الطائف أصابه سهم فكان فيه هلاكه ، فمات بالمدينة فرثته بأبيات منها :

رُزيتَ بخيرِ الناسِ بَعْدَ نبيِّهم وبَعْدَ أبي بكرٍ وما كانَ قَصّرَا
فآليتُ لا تنفكُّ عيني حزينة عليك ولا ينفكُّ جلدي أغْبَرا
فلله عينا من رأى مثله فتى أكرّ وأحْمَى في الهياج وأصْبَرا
إذا أشرعتْ فيه الأسنةُ خاضها إلى الموت حتى يتركَ الرمحَ أَحْمَرا

فتزوجها زيد بن الخطاب ، فقتل يوم اليمامة شهيدًا ، ثم تزوجها عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سنة ١٢هـ ، ثم قتل عنها عمر فقالت تبكيه :

عين جودى بعبرةٍ ونحيبِ لا تملّي على الإمامِ النجيبِ
فجعتني المنونُ بالفارسِ المصـ ـمم يوم الهياج والتثويب
قلْ لأهلِ الضرّاء والبؤس موتوا قد سقته المنونُ كأسَ شعوبِ

(١) ابن حجر العسقلاني ، الإصابة في تمييز الصحابة ، مج٤ ، مصدر سابق ، ص ٣٥٦ .

ثم كان الزبير بن العوام آخر من تزوجها ، فقالت أيضًا ترثيه :

غدد بني جرموز بفارس بهمة   يوم اللقاء وكان غير معرد
يا عمر ولو نبهته لوجدته   لا طائشًا رعش الجنان ولا اليد
كمْ غمْرة قد خاضها لم يثنه   عنها طرادك يا ابن فقع القرددِ
ثكلتك أمكُ أن ظفرت بمثله   ممن معي ممن يروح ويغتديِ
والله ربك إن قتلت لمسلما   حلت عليك عقوبة المعتمدِ

ثم خطبها علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد انقضاء عدتها من الزبير فأرسلت إليه : إني لأضن بك يا ابن عم رسول الله ﷺ عن القتل .

ويبدو أن عاتكة رضي الله عنها كان مولعة بالرثاء ، فيروى لها ابن سعد في طبقاته أبيات ترثى بها النبي ﷺ ، نختم بها هذه المقالة .

تقول عاتكة :

أمستْ مراكبه أوحشتْ   وقد كان يركبها زينُها
وأمستْ تبكي على سيّدٍ   تردَدُ عبرتها عينُها
وأمستْ نساؤك ما تستفيقُ   من الحزن يعتادها دينُها
وأمستْ شراحب مثل النصا   لِ قد عطلت وكبا لونُها
يعالجن حزنا بعيدَ الذهابِ   وفي الصدر مكتنع حُينها
يضربن بالكفِّ حُرّ الوجوه   على مثله جادها شونها
هو الفاضلُ السيدُ المصطفى   على الحقِّ مجتمعُ دينُها
فكيف حياتي بعد الرسولِ   وقد هـان من ميتةٍ حينُها؟[1]

ولم يعرف لعاتكة بنت زيد شعراً غير ما قالته في رثاء أزواجها والنبي ﷺ .

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، جـ٢ ، مصدر سابق ، ص ٣٣٢ .

عباد بن بشر

هو عباد بن بشر بن وقش بن رغبة بن زعوراء بن عبد الأشهل الأنصاري الأشهلي ، صحابي جليل من سادات الأنصار وفضلائهم ، أسلم قبل الهجرة على يد مصعب بن عمير ، وكان ذلك قبل إسلام سعد بن معاذ وأسيد بن حضير. شهد بدرًا وأحدا والخندق ، والمشاهد كلها ، واشترك في سرية محمد بن مسلمة لقتل كعب بن الأشرف اليهودي (١) .

يروى عنه ، أن عصاه كانت تضيء له الطريق في الليلة المظلمة ، ففي رواية ابن الأثير عن أنس أن أسيد بن حضير وعباد بن بشر كانا عند النبي ﷺ في ليلة مظلمة فخرجا من عنده ، فأضاءت عصا أحدهما ، فكانا يمشيان بضوئها ، فلما افترقا ، أضاءت عصا هذا وعصا هذا .

وقالت عنه عائشة رضي الله عنها : ثلاثة من الأنصار ، لم يكن أحد يعتد عليهم فضلا ، كلهم من بني الأشهل ، سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وعباد بن بشر .

وعن عائشة أيضا قالت أن النبي ﷺ سمع صوت عباد بن بشر فقال : **«اللهم ارحم عبادًا»** .

أما عباد بن بشر الشاعر ، فلم يصلنا من شعره غير أبيات عشرة قالها واصفًا كيف قتل هو وأصحابه كعب بن الأشرف اليهودي .

يقول عباد بن بشر :

صرختُ به فلم يعرض لصوتي ... ووافى طالعًا من رأس جَدْرِ
فعدتُ له فقال من المنادي ... فقلت أخوك عباد بن بشر
وهذي دِرْعنا وهنا فخذها ... لشهر إن وفى أو نصف شهر

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ، مج ٢ ، مصدر سابق ، ص ٤٣٠ .

فقال معاشر سغبوا وجاعوا   وما عدلوا الغني من غير فقر
فأقبل نحونا يَهْوى سريعًا   وقال لنا لقد جئتمْ بأمرِ
وفي أيماننا بيضٌ حِداد   مجردة بها الكفار نغري
فعانقه ابن مسلمة المردّى   به الكفار كالليث الهزبر
وشد بسيفه صِلتا عليه   فقطّره أبو عبس بن حبر
فكان الله سادسنا فأُبْنا   بأنعمِ نعمةٍ وأعزِّ نصرِ
وجاء برأسه نفر كرامٌ   همُ ناهيك مَن صدق وبر [١]

والأبيات كما لاحظنا تفصل عملية قتل كعب بن الأشرف ، أما البيتان الأخيران فيظهر فيهما أثر الإسلام واضحًا ، فالله تعالى معهم وهم في ذلك أهل صدق وبر .

ولقد كانت نهاية عباد بن بشر نهاية كريمة ، شاعر مقاتل مجاهد في سبيل إعلاء كلمة الله في الأرض ، إذ قتل شهيدًا في معركة اليمامة عام ١٢ هـ عن ٤٥ سنة . رحم الله عباد بن بشر شاعرًا ومجاهدًا .

---

(١) ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب (بهامش الإصابة لابن حجر العسقلاني)، مصدر سابق ، ص ٤٤٤ ، ٤٤٥ .

العباس بن عبد المطلب

العباس بن عبد المطلب ثاني أعمام النبي ﷺ بعد الحارث بن عبد المطلب ، وكان للنبي أعمام عشرة هم بنو عبد المطلب ، كان العباس يكنى أبا الفضل .

وكان العباس على دين قومه لم يسلم بعد ، ومع ذلك حضر مع النبي ﷺ بيعة العقبة الثانية ، وقد ذكر ابن سعد في طبقاته الكبرى أنه أسلم بمكة قبل بدر ، وأسلمت أم الفضل معه حينئذ ، وكان مقامه بمكة [1] . وقد طلب من النبي ﷺ أن يقدم إلى المدينة مهاجراً ، فكتب إليه النبي ﷺ : « **إن مقامك مجاهد حسن** » **فأقام** بأمر رسول الله ﷺ .

ودفاع العباس بن عبد المطلب ـ سواء قبل إعلان إسلامه أم بعد ذلك ـ لا ينكره منكر ولا يماري فيه أحد ، غير أن الذي يعنينا هنا ما قيل عن شعر العباس ابن عبد المطلب في الرسول ﷺ ، فثمة أبيات سبعة تروى للعباس بن عبد المطلب في مدح الرسول ﷺ ، قالها العباس أثناء انصراف النبي ﷺ من تبوك ، قال العباس للرسول إني أريد أن أمتدحك ، فقال : « **قل لا يفضض الله فاك** » فقال العباس :

من قَبْلِهَا طِبْتَ في الظِلال وفي
مُسْتَوْدَعٍ حَيْثُ يُخْصَفُ الوَرَقُ

ثم هَبَطْتَ البلادَ لا بَشَرٌ
أَنْتَ ولا مُضْغَةٌ ولا عَلَقُ

بل نُطْفَةٌ تَرْكَبُ السَفِينَ وقد
أَلْجَمَ نَسْرًا وأَهْلَهُ الغرَقُ

تُنْقل مِنْ صَالبٍ إلى رحمٍ
إذا مضى عالمٌ بدا طَبَقُ

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى . مج ٤ ، مصدر سابق ، ص ٣١ .

حتى احتوى بَيْتَكَ المُهَيمنِ منْ
خِنْدِفِ علياءَ تَحْتَها النُطُقُ
وأنْتَ كما وُلدتَ أشرقت الـ
أرضُ وضاءت بنورِكَ الأفُقُ
فَنَحْنُ في ذَلِكَ الضياء وفي النور
(م) وسُبْل الرَّشَادِ يُخْتَرَقُ (١)

والأبيات في مجملها تؤكد على فكرة شاعت في الفكر الصوفي بعد ذلك ، وهي خلق محمد ﷺ قبل آدم وقبل الأرض ، وأن الأرض أشرقت وضاءت بعد مولد النبي ﷺ.

(١) ابن كثير : البداية والنهاية مج٣ ، دار الحديث ودار الكتب العلمية ، القاهرة وبيروت ، ١٩٨٥ ، ص ٢٥ .

العباس بن مرداس السلمي

هو العباس بن مرداس بن أبي عامر بن حارثة بن عبد قيس بن رفاعة بن الحارث بن يحيى بن الحارث بن بهنة بن سليم أبو الهيثم السلمي (١) . أمه الخنساء الشاعرة المشهورة في زعم أبي عبيدة .

والعباس بن مرداس من شعراء البادية شديد العارضة والبيان ، فارس قومه بني سُليم وسيدها ، وهو من الذين حَرّمُوا الخمر على أنفسهم في الجاهلية ، أسلم قبيل فتح مكة بقليل ، وقد وافى الرسول ﷺ بألف من بني سليم يوم فتح مكة ، وعلى الرغم من بدويته الجافة فقد كان مهيأ لتشرب مبادئ الإسلام ، وقد ذكر له ابن إسحاق أشعاراً كثيرة في مناسبات شتّى ، وذلك لأنه شارك في نصرة المسلمين في جل المعارك بعد فتح مكة .

ويظهر أثر الإسلام في شعر العباس بن مرداس بشكل واضح في قصيدته التي يقارن فيها بين جاهليته وما كان عليه من شرك وضلال وإسلامه حيث ينعم بصحبة رسول الله ﷺ وقيم الإسلام وتعاليمه ، يقول :

لعمري يومَ أجعلُ جاهداً ضِماراً (٢) لربِّ العالمين مشاركا
وتركي رسول الله والأوسُ حوله أولئك أنصارٌ له ما أولئكا؟
كتارك سَهل الأرض والحزن يبتغي ليَسلُك في وعث الأمور المسالكا
فآمنتُ بالله الذي أنا عَبْدُهُ وخالفت من أمْسَى يريد المحالكا
ووجّهتُ وَجْهي نحو مكّةَ قاصداً وتابعتُ بين الأخشبَيْن(٣) المباركا(٤)

(١) ابن حجر العسقلان : الإصابة في تمييز الصحابة ، مج٢ ، مصدر سابق ، ص ٢٧٢ .
(٢) **ضماراً** : صنم للعباس ورثه عن أبيه .
(٣) **الأخشبين** : جبلان بمكة .
(٤) الرسول ﷺ .

نبيٌّ أتانا بعد عيسى بناطق ... من الحقِّ فيه الفَضْلُ منه كذلك
أمينٌ على الفرقان أوّل شافع ... وآخر مَبعوث يُجيبُ الملائكا
تلافى عُرا الإسلام بعد انفصالها ... فأحْكَمَها حتّى أقام المناسكا
رأيتُك يا خيرَ البريّة كُلِّها ... توسّطْتَ في القُرْبَى من المَجد مالكا
سبقتهُم بالمجد والجُود والعُلا ... وبالغاية القُصْوى تَفُوت السَّنابكا
فأنْت المُصَفَّي من قريش إذا سَمَتْ ... غلاصِمُها[1] تَبْغي القروم[2] الفواركا[3]

ولعل هذه الأبيات تُعد من أقوى القصائد في مدح النبي ﷺ فهي تجمع فيها مدحها النبي ﷺ بين الصفات الإسلامية والقيم البدوية . أما إذا بحثنا عن أثر الإسلام فيها ، فإنها تنم عن تأثر ابن مرداس بالقرآن الكريم ، فألفاظه وتعابيره «خاتم الأنبياء » و« مرسل بالحق » و« أول شافع » و« آخر مبعوث » كلها مستمدة من القرآن الكريم ، وهذا دليل على تمثل الشاعر للإسلام تمثلا عميقًا .

والعباس بن مرداس في شعره يبرز مكانه النبي ﷺ ودوره الكوني المتمثل في هداية البشرية كلها ، يقول :

رأيتك يا خير البرية كلها ... نشرتَ كتابًا جاء بالحق مُعْلمَا
ونوّرت بالقرآن أمر قد مسا ... وأطفأتَ بالبرهان نارًا مضرّما
فمنْ مبلغٌ عنّي النبيّ محمدا ... وكل امرئ يُجزى بما قد تكلّما
تعالى عُلوًا فوق إلهنا ... وكان مكانُ الله أعلى وأعظما

ويبدو أن مكانة العباس بن مرداس في قومه قبل الإسلام جعلته يبدي بعض المعارضة للرسول ﷺ ، إذ اشترك مع المعترضين على أمر الرسول ﷺ ، برد السبي إلى هوازن ، كما أنه عاتب النبي ﷺ مستقلاً ما أعطاه من فيء هوازن مما

---

(١) **غلاصمها** : جماعتها .
(٢) **القروم** : السادة والواحد قرم .
(٣) **الفوارك** : المنجبون .

اضطر النبي ﷺ أن يقول : « **اقطعوا عني لسانه** » فأعطي من فيء هوازن حتى رضي.

ولا يقلل ذلك من شاعرية العباس بن مرداس ودور شعره في الدفاع عن الإسلام ونصرته ، كذلك لا ينقص من إسلامه أو تمثل هذا الإسلام في شعره ، بل يمكن القول أن العباس بن مرداس كان يطمح أن ينال مكانة الشاعر الأول عند رسول الله ﷺ فأكثر من قول الشعر في غير مناسبة ، ويكفي أن نقرأ له هذا العدد الكبير من القصائد المتناثرة في السيرة النبوية لابن هشام ، فقد روى له في وقعة حنين وحدها أكثر من مائة بيت على قوافٍ متنوعة ، وإلى جانب هذا نجده لا يهتم بغضب امرأته بسبب إسلامه ، ويعد نفسه وزيراً لمحمد ﷺ ، فيقول :

فإن تبتغي الكفارَ غير ملومةٍ فإني وزيرٌ للنبي وتابعُ

وذلك في أبيات طويلة ، يعنينا منها بعد ذلك قوله :

ولكنّ دينَ الله دينَ مُحمد رضينا به فيه الهدى والشرائع
أقام به بعد الضلالة أمرنا وليس لأمرٍ حمّهُ الله [1] دافعُ [2]

حيث يظهر فيها أثر الإسلام والإيمان قويًا .

والواقع أن الأبيات التي يظهر فيها أثر الإسلام في شعر العباس كثيرة ، وسيطول بنا المقام لو تتبعنا ذلك ، لكن نكتفي بهذين البيتين اللذين قالهما ابن مرداس يوم حنين :

يا خاتم النبّاء إنك مرسلٌ
بالحق كلُّ هدى السبيل هُدَاكا

إن الإله بنى عليك محبّةً
في خلقهِ ومحمدًا سماكا [3]

---

(١) حمه الله : قدره وهيأ أسبابه .

(٢) ابن هشام : السيرة النبوية ، مج٢ ، مصدر سابق ، ص ٢٥٦ .

(٣) ابن هشام : المصدر نفسه ، ص ٢٥٣ .

ويُعد العباس بن مرداس من أشجع الناس في شعره ، وذلك في قوله :

أكرُّ على الكتيبة لا أبالي أحتفى كان فيها أم سواها [1]

(١) ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة ، مج ٢ ، مصدر سابق ، ص ٢٧٢ .

عبد الله بن الحارث السهمي

هو عبد الله بن الحارث بن قيس بن عديّ بن سعد بن سهم ، أحد الصحابة الذين هاجروا إلى الحبشة [١] ، ذكره المرزباني في معجم الشعراء ، وقال عنه كان يلقب بالمبرق لقوله :

إذا أنا لمْ أبْرِقْ فلا يسعنّني ... من الأرض برٌّ ذو فضاءٍ ولا بَحْرُ

على أن ابن هشام في السيرة النبوية أورد ثلاث مقطوعات من الشعر يبرز فيها تمكنّه من الشعر وتأثره بالقيم والمعاني الإسلامية [٢] ، وكان من شعره حين أمن بأرض الحبشة وحمد مع أصحابه الذين هاجروا معه جوارَ النجاشي فعبدوا الله بلا خوف من أحدٍ قوله :

يا راكبا بلّغا عنّي مُغَلْغلةً ... مَنْ كان يرجو بلاغَ اللهِ والدينِ
كل امرئٍ من عباد الله مضطهد ... ببطنِ مكةَ مقهورٍ ومَفْتونِ
أنّا وجدنا بلادَ الله واسعةً ... تُنجي مَن الذلّ والمَخْزاةِ والهونِ
فلا تقيموا على ذلّ الحياة وخزْ ... يٍ في الممات وعيبٍ غير مأمون
إنا تَبِعْنا رسولَ الله واطّرَحوا ... قولَ النبيّ وعالُوا في الموازين
فاجعلِ عذابك في القوم الذين بَغَوْا ... وعائذًا بكَ أنْ يَعْلوا فيُطْغوني

وفي الأبيات السابقة يدعو الشاعر المسلمين في مكة إلى الهجرة ، فأرض الله واسعة لعبادته دون خوف ، قال تعالى : ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴾ [العنكبوت:٥٦] وقوله تعالى أيضًا : ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾ [النساء: ١٠٠] ويظهر أثر اللفظ القرآني بصورة أوضح

---

(١) ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة ، مج ٢ ، مصدر سابق ، ص ٢٩٢ .

(٢) ابن هشام : السيرة النبوية ، المجلد الأول ، مصدر سابق ، ص ١٧٠ .

في البيت الخامس ، فالشاعر متأثر فيه بقوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [آل عمران : ٥٣] .

ولا يقف عبد الله بن الحارث السهمي عند تأثره بالقرآن في شعره ، بل إننا نلمح في شعره روح المقاومة والصمود في وجه التعنت القرشي ، وإن لمحنا أيضًا شيئًا من العتاب لبعض من قومه ، فهو لم يقطع الصلة بهم بعد ، يقول :

أبتْ كَبِدي لا اكْذِبَنْك قتالَهمْ عليّ وتأباه عليَّ أناملي
وكيف قتالي مَعْشَرًا ادَّبُوكُم على الحقِّ أنْ لا تَأشِبوه بباطلِ
نَفَتْهم عبادُ الجنِّ من حرِّ أرضهمْ فأضْحَوْا على أمر شديد البلابلِ
فإن تكُ كانت في عَدِيّ أمانةٌ عديّ بن سَعْد عن تُقى أو تَواصلِ
فقد كنتُ أرجو أنّ ذلك فيكُم بحَمْد الذي لا يُطَّبى بالجَعَائل (١)
وبُدِّلتُ شِبلا شِبَلَ كل خبيثةٍ بذي فَجَرٍ مأوَى الضعافِ الأراملَ

وتستمر مقاومة عبد بن الحارث السهمي لقريش مستعينا هذه المرة بالقصص القرآني فقريش مثل عاد ومدين والحجر تجحد الله حقه ، ويقول :

تلكَ قريشٌ تجْحَدُ الله حقّه كما جَحَدتْ عادٌ ومدينُ والحِجْرُ
فإن أنا لم أبْرِق (٢) فلا يسعَنَّني من الأرض بَرٌّ ذو فضاء ولا بَحرُ
بأرضٍ بها عبدُ الإله محمدٌ أبيّن ما في النفس إذا بلغ النَّقْرُ

ففي البيت الأول نجد الشاعر متأثرًا بقوله تعالى ﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ ﴾ [التوبة : ٧٠] ،وقوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الحجر : ٨٠] .

وإذا عرفنا أن شعر عبد الله بن الحارث قيل في فترة مبكرة من عهد الإسلام،

---

(١) **لا يطبي** : لا يستمال ولا يستدعى ، **والجعائل** : جمع جعالة وهي الرشوة .
(٢) **أبرق** : أهدد .

أي قبل الهجرة النبوية ، ومع ذلك نجد هذا التأثر الواضح بالقرآن ، فمن المؤكد أن هذا راجع إلى صدق الإيمان وتعمق المفاهيم الإسلامية عند الشاعر فظهر على هذه الصورة شعره .

عبد الله بن رواحة

هو عبد الله بن رواحة بن امرئ القيس من بني مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج ، فهو خزرجي أنصاري ، ثالث الشعراء الذين وقفوا إلى جانب النبي ﷺ بسنانهم وبيانهم ، وثالث القادة الشهداء في وقعة مؤته ، حمل اللواء وقضى شهيدًا بعد زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وذلك سنة ثمان من هجرة الرسول ﷺ .

كان ابن رواحة سيدًا عظيم الشأن في الجاهلية ، سباقا إلى الإسلام ، قال عنه المرزباني في معجم الشعراء : « كان عظيم القدر في الجاهلية والإسلام ، وكان يناقض قيس بن الخطيم في حروبهم ، ومن أحسن ما مدح به النبي ﷺ قوله :

لو لم تكنْ فيه آياتٌ مبينةٌ   كانتْ بديهتة تنبيك بالخبرُ » (١)

ندبه الرسول ﷺ لمهاجاة الشعراء من المشركين ، وكان يستنشده ويستحسنه ، روى هشام بن عروة عن أبيه قال : سمعت أبي يقول : ما سمعت أحدًا أجرأ ولا أسرع شعرًا من عبد الله بن رواحة ، سمعت رسول الله ﷺ يقول له يومًا : « **قل شعرًا تقتضيه الساعة وأنا أنظر إليك** » ، فانبعث مكانه يقول :

إنّي تفرّست فيك الخير أعرفه
والله يعلمُ أن ما خانني البصرُ

أنت النبيهُ ومن يُحرم شفاعته

يوم الحساب فقد أزرى به القدرُ
فثبتّ اللهُ ما أتاك من حسنٍ
تثبيت موسى ونصرًا كالذي نصروا

---

(١) ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة ، مج٢ ، مصدر سابق ، ص ٣٠٧ .

فقال رسول الله ﷺ : « وأنت فثبتك الله يا ابن رواحة » (١) .

وشعر ابن رواحة شعر إسلامي خالص ، يمثل القصيدة الإسلامية خير تمثيل ، ولكن من أسف لم يصلنا من هذا الشعر إلا القليل ، ربما لأن قريش بعدما أسلمت لم تهتم بجمع شعره ولعل هذا يفسر قول المؤرخين والرواة أن قريشًا في جاهليتها كانت تجزع من شعر حسان بن ثابت ولا تبالي بشعر ابن رواحة لأن حسانا كان يطعن في أحسابهم ويرميهم بالهنات التي تنال من عزتهم الجاهلية ، وكان ابن رواحة يعيزهم بالكفر ، فلموا أسلموا كان شعر ابن رواحة يحز في قلوبهم حزًا ، ففي هجائه لأبي سفيان في وقعة بدر نجده يعيره بالكفر والشرك ومعصية الرسول ﷺ ، يقول :

وعدنا أبا سفيان بدرًا فلم نجدْ
لميعاده صِدْقًا وما كان وافيا
عصيتم رسولَ الله ، أفٍ لدينكم
وأمركم السيىء الذي كان غاويا
فإني وإن عنّفتموني لقائلٌ
فدىً لرسول الله أهلي وماليا
أطعنا ولم نَعْدِله فينا يغره
شهابا لنا في ظُلْمةِ الليل هاديا

والمتأمل في الأبيات السابقة نجد أن الشاعر يستمد معانيه من القرآن الكريم ، فالبيتان الثالث والرابع يمكن أن نردهما إلى قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ ﴾ [التوبة : ٢٠] ، وقوله ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴾ [محمد : ٣٣] .

وفي رثائه لحمزة بن عبد المطلب ، نجد رثاء إسلاميًا خالصا يستمد معانيه من

(١) ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، مج١ ، مصدر سابق ، ص ٢٩٥ ، ٢٩٦ .

القرآن الكريم والثقافة الإسلامية عامة ، يقول ابن رواحة :

بكت عيني وحُق لها بكاؤها ... وما يُغني البكاء ولا العويلُ
على أسد الإله غداة قالوا ... أحمزةُ ذاكم الرجلُ القتيلُ
أصيب المسلمون به جميعا ... هناك وقد أصيب به الرسولُ
عليك سلام ربك في جنان ... مخالطها نعيمٌ لا يزولُ
ألا يا هاشم الأخيار صبراً ... فكل فعالكم حسنٌ جميلُ
رسول الله مصطبرٌ كريم ... بأمر الله ينطق إذ يقولُ (١)

ويشير ابن هشام إلى أن هذه الأبيات تنسب أيضًا إلى كعب بن مالك ، ولكنا نرجح أنها لابن رواحة ، حيث إنها أقرب إلى أسلوبه وصياغته منها إلى أسلوب كعب بن مالك ، فهي تتميز بالرقة والسهولة واستخدام الألفاظ والمعاني الإسلامية المستمدة من القرآن الكريم .

ومن شعره الذي يتجلى في خالص الإيمان ما كان يرتجز به وهو آخذ بخطام ناقة رسول الله ﷺ حين دخل مكة في عمرة القضاء سنة سبع للهجرة ، يقول ابن رواحة :

خلواْ بني الكُفّار عن سبيله ... خلُو فكلُّ الخير في رسوله
يا رب إني مؤمن بقيله ... أعرفُ حق الله في قبوله (٢)
نحن ضربناكم على تأويله ... كما ضربناكم على تنزيله
ضربا يزيلُ الهام على مقيلهِ ... ويذهل الخليل عن خليله (٣)

وذكر أن عمر بن الخطاب استنكر ذلك ، وقال : يا ابن رواحة في حرم الله وبين يدي رسول الله ﷺ هذا الشعر ؟ فقال الرسول ﷺ : **« خل عنه يا عمر ، فوالذي نفسي بيده لكلامه أشد عليهم من وقع النبل »** ، ثم قال :

---

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ، مج١ ، مصدر سابق ، ص ٦٠ .
(٢) ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة ، مج٢ ، مصدر السابق ، ص ٣٠٧.
(٣) ابن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء ، السفر الأول ، مصدر سابق ، ص ٢٢٤.

يا ربِّ لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينةً علينا وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الكفار قد بَغَوْا علينا

فقال النبي ﷺ : « **اللهم ارحمه** » ، فقال عمر : وجبت [١] .

وابن رواحة كما أشرنا قبل ذلك ، كان ثابت العقيدة مخلصًا في إيمانه ، ولعل قمة هذا الإخلاص تمنيه الشهادة حينما بعثه النبي ﷺ في الجيش الخارج إلى مؤته سنة ثمان للهجرة ، يقول ابن رواحة يوم ودعه المسلمون وهو في طريقه إلى مؤته :

لكنني أسألُ الرحمن مغفرةً
وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا
أو طعنةً بيدي حرّان مُجْهِزَةً
بحربةٍ تُنْفِذُ الأحشاءَ والكبدا
حتى يُقالَ إذا مرُّوا على حدثي
أرشدهُ اللهُ من غازٍ وقد رشدا[٢]

وقد حقق الله لابن رواحة ما تمناه ، فقاتل في مؤته حتى استشهد وهومقبل غير مدبر منشدًا :

يا نفس إلا تُقْتَلي وتموتي هذا حمام الموت قد صليت
وما تمنيت فقد أعْطيتِ إن تفعلي فعلها هُديتِ

رحم الله عبد الله بن رواحة شاعرًا ومجاهدًا ، ونرى أن أفضل أبياته قوله يوم استنشده النبي ﷺ شعره ، يحسن أن نختم بها القول .

---

(١) على سامي النشار : شهداء الإسلام في عهد النبوة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٩ ، ص ١٦٨ ، ١٦٩ .

(٢) ابن هشام : السيرة النبوية ، مج١ ، مصدر سابق ، ص ١٨٠ .

نجالد الناس عن عُرْضٍ فنأسرهم
فينا النبيُّ وفينا تنزل السورُ
وقد علمتم بأنا ليس غالبنا
حيٌّ من الناس إن عزُّوا وإن كثرو
يا هاشم الخير إن الله فضلكم
على البرية فضلاً ما له غيرُ
إني تفرّست فيك الخير أعرفه
فِراسه خالفَتَهُمْ في الذي نظروا
ولو سألتَ أو استنصرتَ بعضهم
في جل أمرك ما آوَوْا وما نصروا(١)

---

(١) ابن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء ، السفر الأول ، مصدر سابق ، ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ .

عبد الله بن الزِّبَعْرَي

هو عبد الله بن الزبعري بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم القرشي السهمي الشاعر ،أمه عاتكة بنت عبد الله بن عمرو بن وهب بن حذافة بن جمع (١) .

وكان ابن الزبعري قبل إسلامه من أشد الناس على رسول الله ﷺ وعلى أصحابه بلسانه ونفسه وقد عده محمد بن سلام الجمحي أبرع شعراء مكة ، وكان يناقض حسان بن ثابت وكعب بن مالك ويرد على المسلمين فخرهم ، ويشمت بقتلاهم ويبكي قتلى المشركين ، وأشعاره في هذين الغرضين كثيرة جدًا .

ويعنينا في هذا المقام شعره الذي قال بعد أن أسلم وحسن إسلامه ، ليتحول من الشرك إلى الإيمان ، والمناقضين للدعوة إلى المنافحين عنها ، لذلك استحق أن نعده ضمن شعراء النبي ﷺ .

أسلم عبد الله بن الزبعري عام الفتح ، وكان يوم فتح مكة قد هرب إلى نجران خوفًا من غضب النبي ﷺ والمسلمين . فهجاه حسان بن ثابت ببيت واحد ما زاد عليه :

لا تعْدَمَنَّ رجلا أحلَّك بغضه بنجران في عيش أحد لئيم

فلما بلغ ذلك ابن الزبعري قدم على الرسول مسلما ومعتذرًا ومادحًا في ذات الوقت ، فقال شعرًا كفَّر به عما بدر منه ، معترفا بأن الشيطان أغواه وأضله :

يا رسولَ المليك إن لساني راتــقٌ مافَتَقْتُ إذ أنـا بــورُ
إذا أجاري الشيطان في سَنَنِ الغيِّ ومــن مـال مَيْلَه مــثـبورُ
آمن اللحمُ والعظامُ بما قلتَ فنفســي الفـدى وأنـتَ النذيرُ (٢)

(١) ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، مج٢ ، مصدر سابق ، ص ٣٠٩ .
(٢) ابن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء : السفر الأول ، مصدر سابق ، ص ٢٤٢.

وقد زاد ابن عبد البر في « الاستيعاب في معرفة الأصحاب » أبياتًا أخرى فذكر البيتين الأول والثاني ثم الأبيات الأربعة التالية :

فشهد السمع والفؤاد بما قلت ونفسي الشهيد وهي الخبيرُ
انّ ما جئتنا به حقٌ وصدقٌ ساطعٌ نورُه مضيءٌ منيرُ
جئتنا باليقين والصدقِ والبرِّ وفي الصدقِ واليقين السرورُ
اذهبَ اللهُ ضَلّة الجَهْلِ عنّا وأتانا الرخاءُ والميسورُ (١)

ويبدو أن ابن سلام الجمحي لم يقبل هذه الزيادة فلم ينسبها لابن الزبعري ، على أية حال يمكن أن نلاحظ أثر الإسلام في الأبيات السابقة ، فنجد أن الشاعر يستقي مادته من القرآن الكريم ، فهو في البيت الثاني متأثرًا بقوله تعالى ﴿ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً ﴾ [النساء: ٦٠] وفي البيت الثالث نجد صدى لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ﴾ [الأحزاب: ٤٥] . وبفضل الإسلام ترق ألفاظ ابن الزبعري وتلين ويسلس أسلوبه ، وتنتشر في نسجه ألفاظ القرآن والحديث النبوي ، يقول في قصيدة أخرى مادحًا النبي ﷺ ومعتذرًا عما بدر منه سابقًا قبل إسلامه ، ومؤكدًا صدق إسلامه وإخلاصه للنبي ﷺ :

منع الرقاد بلابلٌ وهمومُ والليلُ مُعْتَلَج(٢) الرواق بَهيمُ (٣)
مما أتاني أنّ أحمد لامني فيه ، فبتُ كأنني محمومُ
يا خَيْرَ من حَمَلَتْ على أوصالها عيدانهُ سُرُحُ اليدين رَسُومُ
إنّي لمعتذرٌ إليك من الذي أسديتُ إذ أنا في الضلال أهيمُ
أيّام تأمرني بأغوى خُطّةٍ سَهْمُ وتأمرني بها مخزومُ
وأمد أسباب الردى ويقودني أمر الغواة وأمرهم مشئومُ
فاليوم آمن بالنبي محمدٍ قلبي ومخطئٌ هذه محرومُ

(١) ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، مج٢ ، مصدر سابق ، ص ٣١٠ .
(٢) معتلج : متداخل .
(٣) بهيم : مظلم ومصمت

مضت العداوةُ وانقضت أسبابها وأتت أواصر بيننا وحلومُ
فاغفرَ ـ فدى لك والدي كلاهما ـ ذَنْبي ، فإنك راحمٌ مرحومُ
وعليك من سمة المليك علاقة نور أغرَّ وخاتم مختومُ
أعطاك بعد محبةٍ برهانه مشرقا وبرهان الإله عظيمُ (١)

والمتأمل في الأبيات السابقة ، يلحظ إلى جانب تأثر الشاعر ، بألفاظ القرآن، صدق العاطفة ، إنها تجربة اعتذارية تفوق اعتذاريات النابغة الذبياني ، فشتان بين اعتذاريات النابغة المتكسبة واعتذاريات ابن الزبعري المؤمنة الصادقة ، إنها تجربة تمثل توبة شعراء قريش وانتقال شعرهم من الهجاء إلى المديح والدفاع عن دعوة الإسلام.

(١) ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، المجلد الثاني ، مصدر سابق ، ص ٣١٠ ، ٣١١ .

عسكلان بن عواكن الحميريّ

كان عسكلان بن عواكن الحميريّ أحد المعمرين ، وكان ممن بشر برسالة النبي ﷺ ثم أدرك البعثة ، وقد أرسل إلى النبي ﷺ يشعر بمدحه فيه ، ويذكر فيه إسلامه ، ولم يذكر أنه هاجر مع النبيّ أو أتاه .

ويروي عبد الرحمن بن عوف أنه كان ينزل عليه في اليمن قبل البعثة ، يقول: سافرت إلى اليمن قبل البعثة بسنة ، فنزلت على عسكلان بن عواكن الحميريّ، وكان شيخًا كبيرًا قد انسئ له في العمر حتى عاد كالفرخ ، وهو يقول:

إذا ما الشيخُ صم فلمْ يكلّم وأودى سمعه إلا بدايا
فذاك الداءُ ليس له دواءٌ سوى الموت المنطقِ بالرزايا
شهدتُ بنا مع الأملاكِ مِنّا وأدركتُ الموقفَ فيَ القضايا
فبادوا أجمعين فصرتُ حلسا صريعا لا أبوح إلى الخلايا (١)

ويقول عبد الرحمن بن عوف أيضًا : وكنت إذا قدمت (يقصد اليمن) نزلت عليه ، فلا يزال يسألني عن مكة وأحوالها ، وهل ظهر فيها من خالف دينهم أم لا ؟ حتى قدمت القدمة التي بُعث النبي ﷺ وأنا غائب فيها ، فنزلت عليه فقعد، وقد شد عصابة على عينيه ، فقال لي : انتسب يا أخا قريش ! فقلت : أنا عبد الرحمن - كان اسمه في الجاهلية عبد عمرو فغيره الرسول بعبد الرحمن - بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة ، قال : حسبك ، قال ألا أبشرك ببشارة ، وهي خير من التجارة ؟ قلت : بلى ، قال :

إن الله قد بعث في الشهر الأول من قومك نبيًا ، ارتضاه صفيا ، وأنزل عليه كتابا وفيا ينهى عن الأصنام ، ويدعو إلى الإسلام ، يأمر بالحق ويفعله ، وينهى عن الباطل ويبطله وهو من بني هاشم ، وإن قومك لأخواله واحمل إليه هذه

(١) ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة ، مج ٣ ، مصدر سابق ، ص ١٠٦ .

الأبيات :

أشهدُ بالله ذي المعالي	وفالقِ الليلِ والصباحِ
أنّك في الشرفِ مِنْ قريشٍ	وابن المفدّى من الذباحِ
أرسلتَ تدعو إلي يقين	ترشد للحقِّ والفلاحِ
هدّ كرور السنين ركبتي	عن بُكر السير والرواحِ
أشهدُ بالله ربّ موسى	أنك أرسلتَ بالبطاحِ
فكنْ شفيعي إلى مليكٍ	يدعو البرايا إلى الصلاحِ[1]

وعلى ما في هذه الأبيات من صدق إيمان عسكلان ، فإنها وصاحبها كانت سببًا قويًا من أسباب إسلام عبد الرحمن بن عوف . إذ يكمل عبد الرحمن القصة قائلاً: فقدمت فلقيتُ أبا بكر ، فكان لي خليطًا ، فأخبرته الخبر ، فقال : هذا محمد بن عبد الله ، بعثه الله إلى خلقه رسولاً فاتته ، فأتيته في بيت خديجة ، فأخبرته ، فقال : « **إنه أخا من حمير من خواص المؤمنين ، ورُبَّ مؤمن بي ولم يرني ومصدق بي وما شهدني ، أولئك إخواني حقًا** » .

(١) ابن حجر العسقلاني ، المصدر نفسه مج٣ ، ص ١٠٦ .

عمرو بن الجموح الأنصاري

هو عمرو بن الجَموح - بفتح الجيم وتخفيف الميم - ابن زيد بن حرام بن كعب ابن غنم بن سلمة الأنصاري السلمي من سادات الأنصار وشريفا من أشرافهم .

شهد العقبة ثم شهد بدرًا ، وقتل يوم أحد شهيدًا ودفن هو وعبد الله بن عمرو بن حرام في قبر واحد ، وكان عمرو بن الجَموح أعرج ، فقيل له يوم أحد: والله ما عليك من حرج لأنك أعرج ، فأخذ سلاحه وولى وقال : والله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة ، فلما ولى أقبل على القبلة وقال : اللهم ارزقني الشهادة ولا تردني إلى أهلي خائبًا .

ويروى أنه أقدم على رسول الله ﷺ نفر من الأنصار فقال لهم : « من سيدكم » فقالوا الجد بن قيس على بخل فيه ، فقال رسول الله ﷺ : « **وأي داء أدوأ من البخل بل سيدكم الجعد الأبيض ، عمرو بن الجَموح** » . وعند ذلك استأذن أحد شعراء الأنصار ليعبر عن قول النبي ﷺ شعرًا فقال :

وقالَ رسولُ الله والحقُّ قولُه ... لِمنْ قال منّا مَنْ تسمّون سيّدا ؟
فقالوا له جدّ بن قيس على التي ... ببخله فيها وإن كان أسودا
فتىً ما تخطى خطوة لدنيّةٍ ... ولا مدّ في يومٍ إلى سوءة يدا
فسود عمرو بن الجموح لجوده ... وحقّ لعمر بالندى أن يُسوّدا
إذا جاءه السؤال أذهبَ مَالَه ... وقالَ خُذُوه إنّه عائد غدا
فلو كنت يا جدّ بن قيس على التي ... على مثلها عمرو لكنت سودا[1]

(١) ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، مج ٢ ، مصدر سابق ، ص ٥٠٤ ، ٥٠٥ .

ويروى في قصة إسلامه ، أنه كان في بيته صنم يعبده ، فلما أسلم قبله بعض فتيان بني سلمة (قبيلته) ، كانوا يدخلون على صنمه فيطرحونه في بعض حفر بني سلمة ، فيغدو عمرو فيجده منكبا لوجهه في العذرة فيأخذه ويغسله ويطيبه ، ويقول : لو أعلم من صنع هذا بك لأخزينه ، ففعلوا ذلك مراراً ، ثم جاء بسيفه فعلّقه عليه ، وقال : إن كان فيك خير فامتنع ، فلما أمسى أخذوا كلبًا ميتا فربطوه في عنقه وأخذوا السيف ، فأصبح عمرو فوجده كذلك ، فأبصر رشده وأسلم وقد قال في ذلك أبياتا من الشعر تنم عند صدق إسلامه واقتناعه بهذا الدين الجديد :

تالله لو كُنْتَ إلها لمْ تكُنْ   أنتَ وكلبٌ وَسْطَ بئرٍ في قَرَنْ
أف لمصرعك إلها يُستدَنْ   الآنَ فَتّشْناك عن سوء الغَبَنْ
فالحمد لله العلي ذي المِنَنْ   الواهب الرزق وديّان الدِّيَن
هو الذي أنقذني من قبلِ أنْ   أكونَ في ظُلمة قبرٍ مُرْتَهن
بأحمد المهدي النبي المرتهن[(١)]

وقد أسلم عمرو بن الجَموح ، وحسن إسلامه فاشترك في بدر وأحد التي استشهد فيها كما أشرنا سابقا .

وقد روى له المرزباني في معجم الشعراء هذين البيتين اللذين يدلان على أثر الإسلام في شعره بقوة

أتوبُ إلى الله سبحانهُ   واستغفر الله من ناره
وأُثني عليه بآلائهْ   بإعلانِ قلبي وإسرارِه[(٢)]

رحم الله عمرو بن الجموح سيد الأنصار ، وأحد شهدائها الأبرار .

---

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ، القسم الأول ، مطبعة الحلبي ، طـ ٢ ، القاهرة ، ١٩٥٥ ، ص ٤٥٣ .

(٢) ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة ، مج٣ ، مصدر سابق ، ص ٥٣٠ .

عمرو بن سالم الخزاعي

هو عمرو بن سالم بن حصين بن كلثوم الخزاعي الحجازي . له صحبة مع الرسول ﷺ وكان شاعرًا ، ولما نزل محمد ﷺ الحديبية أهدى له عمرو غنما وجزورًا فقال له النبي ﷺ : « **بارك الله في عمرو** » .

وقد أنشد عمرو بن سالم النبي ﷺ أبياتا كانت سببا مباشرًا في إعلان النبي ﷺ النفير لفتح مكة ، ذلك الفتح الأعظم الذي كان إيذانا بكمال الدعوة ، وقصة هذه الأبيات كما تروى في كتب السيرة عن ابن إسحاق أنه : لما هادنَ رسول الله ﷺ قريشا السنين التي كتب فيها الكتاب بالحديبية كانت خزاعة - مسلمها وكافرها - في عقد النبي ﷺ ، وكانت بكر بن عبد مناة في عقد قريش ، وبين بكر وخزاعة معاوزات ، وفشا الإسلام في خزاعة وانتصفت من بكر ، فشكت بنو بكر ذلك إلى قريش فأعانتها سرًا ودست إليها الرجال والسلاح ، فبيتوا خزاعة على ماء يقال له الوثير فقتلوهم قتلا ذريعًا ، فعند ذلك خرج عمرو بن سالم - سرًا - حتى قدم المدينة على النبي ﷺ وأنشده مسترحمًا ومستعطفا :

يارب إنّي ناشدٌ محمدًا ... حلفَ أبيه وأبينا الأتْلدَا
كنت لنا أبا وكنَّا ولدًا ... ثمْتَ أسلمنا فلم تنزع يدا
إن قريشًا أخلفتك الموعدا ... ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وزعموا أن لستَ تدعو أحدًا ... وهم أذلُّ وأقلُّ عددا
قد جعلوا لي بكُداءِ رَصَدا ... فادْعُ عبادَ الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجرّدا ... أبيضَ مثل البدر ينمو صعدا
إن سيم خسْفا وجهه تربّدا ... في فيلق كالبحر يجري مزبدا
قد قتلونا بالصعيد هُجدا ... نتلو القرآن ركعًا سجّدا

فانصر رسول الله نصراً أبداً [١]

ويقول ابن حجر في الإصابة أن الأبيات أطول من ذلك ، لكن الذي يعنينا هنا أن الأبيات تنم عن صدق عاطفة الشاعر من ناحية ومروءة النبي ﷺ من ناحية ثانية ، فقد قال النبي ﷺ بعد أن استمع إلى هذه الأبيات الحماسية :

« **نُصرت يا عمرو بن سالم** » ، وفي رواية أخرى : « **لا أنصرني الله إن لم أنصر بني كعب** » .

وكان النصر ، وكان فتح مكة ، وكان عمرو بن سالم حاملاً لواء خزاعة ، ودخل الناس جميعًا في دين الله أفواجا .

---

(١) ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، مج ٢ ، مصدر سابق ، ص ٥٤٠ ، ٥٤١ .

الفصل الخامس

[من حرف القاف - حرف الميم]

١. قتيلة بنت النضر بن الحارث
٢. قردة بن نفاثة السلولي
٣. قس بن ساعدة الإيادي
٤. قيس بن نشبة السلمي
٥. كعب بن زهير
٦. كعب بن مالك
٧. لبيد بن ربيعة
٨. مازن بن غضوبة
٩. مالك بن عوف النصري
١٠. مالك بن نمط

قتيلة بنت النضر بن الحارث

هي قتيلة ابنة النضر بن الحارث المخزومي القرشي ، كان أبوها النضر بن الحارث أحد المحاربين القرشيين ضد المسلمين في وقعة بدر ، وقد وقع أسيرًا في تلك الواقعة ، وأمر النبي ﷺ بقتله .

وكان النبي ﷺ يطوف بالكعبة ، فجذبت رداءه وأنشدته الأبيات التالية في رثاء أبيها وهي أبيات تشهد بقوة العاطفة وصدقها لدى الشاعرة ، وفي ذات الوقت تشهد برقة النبي ﷺ ورحمته ، كما سنرى بعد أن استمع إليها ، تقول قتيلة [1] :

أيا راكبًا إن الأثيل مظنّةٌ	من صبح خامسة وأنت موفّقُ
أبلغْ به ميتًا فإنّ تحية	ما إن تزاك بها النجائب تخفق
مِنيّ إليه وعبرة مسفوحة	جادت لمائحها وأخرى تخنق
هل يسمعن النضر إن ناديته	بل كيف يسمع ميتٌ لا ينطق
ظلّت سيوف بني أبيه تنوشه	لله أرحام هناك تشقق
صبرًا يقاد إلى المنية متعبا	رسف المقيد وهو عان موثق
أمحمدٌ ولدتك خير نجيبة	في قومها والفحل فحلُ مُعرِقُ
ما كان ضرّك لو مننت وربما	منّ الفتى وهو المغيظ المحنق
فالنضر أقرب إن تركت قرابة	وأحقهم إن كان عتق يُعتق

أما عن رد فعل النبي ﷺ عندما استمع لهذه الأبيات ، فيرَوى أنه رق لها حتى دمعت عيناه ، وقال لأبي بكر رضي الله عنه ، لو بلغني شعرها قبل أن

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ، المجلد الأول ، مصدر سابق ، ص ٤٢٣ .

يقتل، ما أمرت بقتله .

ولم يرد في المصادر لقتيلة بعد ذلك شعراً ، سواء في مدح النبي ﷺ أم في رثائه ، وكل ما وصلنا عنها أنها أسلمت يوم فتح مكة ، وهو قول الواقدي ، أما الأبيات السابقة فقد قالتها قبل إسلامها . ونحن إذ نذكرها ، فلنؤكد على خلق الرحمة وأثر الشعر في النبي ﷺ ، فقد كان إنسانًا نبيًا .

قردة بن نفاثة السلولي

هو قردة بن نفاثة السلولي ، من بني عمرو بن مرة بن صعصعة بن بكر بن هوازن ، صحابي وشاعر ، أقدم على الرسول ﷺ في جماعة من بني سلول فأمره عليهم أن بعد أسلم وأسلموا ، فأنشأ يقول :

بانَ الشباب فلمْ أحفل به مالا وأقبل الشيب والإسلام إقبالا
وقد أروى نديمي من مشعشعة وقد أقلب أوراكا وأكفاك
الحمدُ لله إذ لم يأتني أجلى حتى اكتسيتُ من الإسلام سربالا[١]

وعند ذلك قال له النبي ﷺ : « **الحمد له الذي عرفك فضل الإسلام وجعلك من أهله** » ، وقد قيل أن البيت الثالث للبيد بن ربيعة ، وأنه لم يقل غيره بعد إسلامه ، غير أن لقردة بن نفاثه أشعار أخرى ، غير هذه الأبيات ، أوردها ابن عبد البر في الاستيعاب ، وهي أبيات تدل على أنه عمر طويلا ، بيد أن أثر الإسلام فيها يبدو ضعيفا ، بل يكاد لا يبين :

أصبحت شيخا أرى الشخصين أربعة والشخص شخصين لما مسني الكبرُ
لا أسمع الصوت حتى استدير له وحال بالسمع دوني المنظر العسرُ
وكنت أمشي على الساقين معتدلا فصرت أمشي على ما ينبت الشجرُ
إذا أقوم عجنت الأرض متكئا على البراجم حتى يذهب النفرُ[٢]

وقد قيل إنه عاش مائة وأربعين سنة ، وتجمعُ المصادر على أنه وفد على النبي ﷺ فأسلم وجعله النبي ﷺ اميرًا على قومه .

---

(١) ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة ، المجلد الثالث ، مصدر سابق ، ص ٢٣١ .

(٢) ابن عبد البر ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، مج ٣ ، مصدر سابق ، ص ٢٧٥.

قس بن ساعدة الإيادي

هو قس بن ساعدة بن جذامة بن زفر بن إياد بن نزار الإيادي البليغ الخطيب المشهور ، وعلى الرغم من أن قس لم يفد على النبي ولم يمدحه ـ فقد مات قبل بعثة النبي ﷺ ـ ومع ذلك فنحن نضعه كواحد من الشعراء الذين خدموا الدعوة الإسلامية ؛ وذلك لإعجاب النبي ﷺ بقوله واستنشاده شعره فهو إذن في حكم الشعراء من الصحابة الذين استمع إليهم سيد البشر ﷺ .

وكان قس بن ساعدة أول من آمن بالبعث من أهل الجاهلية ، وكانت العرب تعظمه ، وضرب به شعراؤها الأمثال ، وقيل أنه عاش ثلاثمائة وثمانين سنة ، وقد سمع منه النبي ﷺ حكمته في سوق عكاظ ، وعندما قدم وفد بكر بن وائل على رسول الله ﷺ قال لهم : « **ما فعل قس بن ساعدة الإيادي** » قالوا : مات يا رسول الله ، قال : « **رحم الله قسا ، كأني أنظر إليه على جمل أورق تكلم بكلام له حلاوة ! لا أحفظه** » .

قال أبو بكر : أنا أحفظه ، قال له النبي ﷺ : « **اذكره** » ، فذكره .

أما كلام قس الذي ذكره أبو بكر فخطبته المشهورة وأبيات من الشعر تدل على إيمانه بالبعث وتوقعه قدوم النبي ﷺ ، يقول قس :

أيها الناس استمعوا واسمعوا وعوا : كل من عاش مات ، وكل من مات فات، وكل ما هو آتٍ آت ، ليل داج ، وسماء ذات أبراج ، ونجوم تزهر ، وبحار تزفر ، وجبال مرساة ، وأنهار مجراة ، إن في السماء لخبرا ، وإن في الأرض لعبرًا ، أرى الناس يمرون ولا يرجعون ، أرضوا بالإقامة فأقاموا ؟ أم تركوا فناموا؟ يقسم قس قسما بالله لا إثم فيه : إن لله تعالى دِينًا هو أرضى مما أنتم عليه ، ثم أنشد :

في الذاهبين الأولـــــين ... من القرون لنا بصـــــائرْ
لما رأيت مواردًا للمـــــو ... ت ليس لها مصـــــادرْ
ورأيت قومي نحـــــوها ... يمضى الأكابر والأصـــــاغرْ
لا يرجـــــع المــــاضي إلي ... ولا من الباقين غـــــابرْ
أدركت أنّي لا محـــــا ... لة حيثُ صارَ القومُ صـــــائرْ

وتروى لقس أبيات أخرى غير هذه الأبيات ، حيث سأل النبي ﷺ وفد إياد المذكور آنفا : « **هل وجد لقس بن ساعدة وصية ؟** » قالوا : نعم وجدنا له صحيفة تحت رأسه مكتوب فيها :

يا باغي الموت والأموات في جدث ... عليهم من بقايا ثوبهم خرِقُ
دعهم فإن لهم يومًا يصاح بهم ... كما ينبه من نوماته الصعقُ
منهم عراة وموتى في ثيابهم ... منها الجديد ومنها الأورق الخلق

وعند ذلك قال النبي ﷺ : « **والذي بعثني بالحق لقد آمن قس بالبعث** » رحم الله قس بن ساعدة ، فكما قال الجاحظ في البيان والتبيين : فإنّ له ولقومه فضيلة ليست لأحد من العرب ،لأن رسول الله ﷺ روى كلامه وموقفه على جملة بعكاظ ، وموعظته وعجب من حسن كلامه وأظهر تصويبه وهذا شرف تعجز عنه الأماني وتنقطع عنه الآمال .

قيس بن نُشبَة السلميّ

هو قيس بن نشبة السلمي ، من بني سليم ، كان عمًّا للعباس بن مرداس الشاعر المعروف ، وكان قيس بن نشبة يتأله في الجاهلية ، ويقرأ في كتب الفرس المترجمة .

أسلم بعد غزوة الخندق ، إذ جاء إلى النبي ﷺ فقال له : إني رسول الله مَنْ ورائي ومن قومي ، وهم لي مطيعون ، وإني سائلك عن مسائل لا يعلمها إلا من يوحى إليه . فسأله عن السموات وسكانها وما طعامهم وشرابهم ، فذكر له النبي ﷺ السموات السبع والملائكة وعبادتهم ، وذكر له الأرض وما فيها ، فعند ذلك أسلم قيس بن نشبة وعاد إلى بني سليم يقعنهم بالدخول في الإسلام فقال لهم : يا بني سليم ! قد سمعت ترجمة الروم وفارس وأشعار العرب والكهان ومقاول حمير ، وما كلام محمد ﷺ يشبه شيئًا من كلامهم ، فأطيعون في محمد ، فإنكم أخواله ، فإن ظفر تنتفعوا به وتسعدوا . وإن تكن الأخرى فإن العرب لا تقدم عليكم ، فقد دخلتُ عليه وقلبي عليه أقسى من الحجر ، فما برحتُ حتى لانَ بكلامه .

وكانت هناك مودة بين قيس بن نشبة وبني هاشم ، وسبب ذلك أن قيس قدم مكة في الجاهلية ، فباع إبلا له ، فلم يعطه المشتري حقه ، فكان يقول :

يا آل فهر كنتُ في هذا الحرم   في حرمة البيت وأخلاق الكرمْ

أُظلم لا يمنع مني مَنْ ظلم؟

فبلغ ذلك العباس بن مرداس ، فكتب إليه أبياتًا منها :

وائت البيوت وكنْ من أهلها مددًا   تلق ابن حربٍ وتلق المرءَ عباسا[1]

(١) ابن حجر العسقلاني ، الإصابة في تمييز الصحابة ، مج ٣ ، مصدر سابق ، ص ٢٦٠.

فقام العباس بن عبد المطلب وأخذ له بحقه ، وقال : أنا لك جار ما دخلت مكة فكانت بينه وبين بني هاشم مودة حتى بُعث محمد ﷺ رسولاً .

أما الرسول ﷺ فكان يسميه « حبر بني سليم » ويسأل عنه إذا افتقده فيقول **«يا بني سليم أين حبركم »**؟ .

ولقيس بن نشبة أبيات يبدو فيها أثر الإسلام واضحًا ، وهي أبيات مشهورة ذكرها ابن حجر العسقلاني في كتابه الإصابة :

تابعت دينَ محمدٍ ورضيتهُ ... كل الرِّضا لأمانتي ولديني

ذاك امرؤ نازعته قولَ العدا ... وعددتُ فيه يمينه بيميني

قد كنت آملُهُ وانظُرُ دَهْرَهُ ... فالله قدر أنه يهديني

أعني ابن آمنة الأمين ومَنْ به ... أرجو السلامة من عذاب الهونِ[1]

وفي الأبيات السابقة إشارة إلى أن قيس بن نشبة كان يتوقع مجيء الرسول ﷺ .

(١) ابن حجر العسقلاني ، المصدر السابق ، ص ٢٦١ .

كعب بن زهير

هو كعب بن زهير بن أبي سلمى المزني ، وأبوه هو الشاعر الجاهلي المعروف زهير أحد أصحاب المعلقات عاش كعب بنجد في كنف أبيه ، وكان أبوه موسعًا عليه في بره ، فلما مات ساءت أحواله ولازمه سوء الحظ فافتقر . وكان كعب في جاهليته على عكس أبيه شريرًا شرسًا هجاء ، ومع ذلك كان جيد الشعر وأكثر شهرة من أخيه بجير وتلاميذ أبيه جميعًا ، ولعل سوء خلقه وميله إلى الشر هو الذي أخر إسلامه ، وقصة إسلامه مشهورة في كتب السيرة النبوية والتاريخ ، إذ قدم على الرسول ﷺ في السنة الثامنة للهجرة بعد فتح مكة ، وكانت قد ضاقت عليه الأرض بعدما أهدر الرسول ﷺ دمه بسبب هجائه له ، فدخل على الرسول ﷺ المسجد بعد صلاة الصبح وقال له : « إن كعب بن زهير أتاك تائبًا مسلمًا ، فهل أنت قابل منه إن جئتك به ؟ » فقال : « نعم » . قال : فأنا كعب ، فوثب رجل من الأنصار طالبًا من الرسول أن يضرب عنق كعب ، فكفّه النبي ، وعند ذلك أنشد كعب النبي ﷺ قصيدته المشهورة :

بانت سعد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يجز مكبول[1]

فلما فرغ من إنشادها كساه الرسول ﷺ بردته ، لذلك عرفت هذه القصيدة بالبردة .

والقصيدة تأخذ البناء الجاهلي في الشكل والمضمون ،ورغم ذلك يمكن أن نلمح أثر الإسلام في بعض أبياتها ، ولعل هذا راجع إلى أن الإسلام كان قد أثر في شعراء الجزيرة العربية ، وإن لم يسلموا بعد ، مثل قوله :

فقلت : خلّو طريقي لا أبا لكم فكل ما قدّر الرحمنُ مَفْعُولُ

---

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ، المجلد الثاني ، مصدر سابق ، ص ٢٨١ .

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته يومًا على آلةٍ حَدْبَاء مَحْمول
أنبئت أن رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمُولُ
مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة الـ قرآن فيها مواعيظٌ وتفصيلُ
لا تأخذنّي بأقوال الوشاةِ ولم أذنبْ ولو كثرتْ عنّي الأقاويلُ

وقد أعجب الرسول ﷺ واهتز لقوله :

إن الرسول لنور يستضاء به مهنّد من سيوف الله مسلول

على أن أثر الإسلام وروحه تبدو على نحو أجلى في شعره الذي قاله بعد أن أسلم وحسن إسلامه وصلح شأنه ، مثل قوله :

أعلم أن متى ما يأتني قدري فليس يحبسه شح ولا شفق
والمرء والمال ينعى ثم يذهبه مرٌّ الدهور ويغنيه فينسحق
فلا تخافي علينا الفقر وانتظري فضل الذي بالغنى من عنده نثق
إن يفن ما عندنا فالله يرزقنا ومن سوانا ولسنا نحن نرتزق

ولكعب بن زهير مقطوعات أخرى نلحظ فيها أثر القرآن الكريم والثقافة الإسلامية ، يعبر بها عن تفاعل كامل مع الحياة الإسلامية ومثلها حيث يؤكد مقسمًا أنه سيتمثل مبادئ الإسلام مخلصًا لها ، مسلمًا نفسه لله تعالى ، يقول في ذلك :

فأقسمت بالرحمن لا شيء غيره يمين امرىء برٌّ ولا أتحلّلُ
لأستشعرن أعلى دريسي مسلمًا لوجه الذي يحيي الأنام ويقتل
هو الحافظ الوسنان بالليل ميتًا على أنه حيٌّ من النوم ومثقل
من الأسود الساري وإن كان ثائرًا على حدٌ نابيه السِّمام المثل

وحسبنا من أثر الإسلام في كعب بن زهير هذا التحول الملحوظ في منحى هجائه ،فقد كان لسانه لاذعًا قارعًا في الجاهلية ، أما في الإسلام فهو متسامح

يصفح الصفح الجميل ، يدعو هاجيه إلى المثل الإسلامية وينصحه نصيحة صدق ، يقول :

إن كنت لا ترهب ذمِّي لما   تعرف من صفحي عن الجاهــــل
فاخش سكوتي إذ أنا منصت   فيك لمسموع خنى القائــــل
فالسامع الذام شريك له   ومُطْعِم المأكول كالآكـــــل
مقالة السوء إلى أهلها   أسرع من منحدر سائـــــل
ومن دعا الناس إلى ذمِّه   ذموه بالحق وبالباطـــــل[1]

وهي أبيات تدل على سماحة نفس شربت روح الإسلام وتعاليمه المثالية . ويبدو لنا أن هذه الروح كانت قد تسربت إلى نفس الشاعر قبل أن يسلم ، فمن جيد شعره الذي يذكره الرواة ويمكن أن نلمح فيه أثر الإسلام أيضا وإن لم يكن قد أسلم ، قوله :

لو كنت أعجبُ من شيء لأعجبني   سعي الفتى وهو مخبوء له القدرُ
يسعى الفتى لأمور ليس يدركها   فالنفس واحدة والهمُّ منتشر
والمرء ما عاش ممدود له أمل   لا تنتهي العين حتى ينتهي الأثر[2]

---

(١) ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، مج ٣ ، مصدر سابق ص ٣٠٠ .
(٢) ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة ، مج٣ ، مصدر سابق ، ص ٢٩٦ .

كعب بن مالك

هو كعب بن مالك بن أبي كعب بن القين بن كعب بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة - بكسر اللام - ابن سعد بن على بن أسد بن ساردة أبو عبد الله الأنصاري السلمي (١) .

ولد كعب في يثرب سنة خمس وعشرين قبل الهجرة ، وأسلم مبكرًا ، وكان له دور كبير في انتقال الرسول بدعوته إلى المدينة المنورة ، فقد ترشف نور الإسلام أول ما شع في يثرب مع أول أربعين سبقوا إلى الإسلام في المدينة قبل الهجرة ، وكان في العقبة الثانية أحد سبعين رجلاً وافوا رسول الله ﷺ في مكة وبايعوه على الإسلام والإيواء والنصر .

ويشكل كعب بن مالك مع حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة الثلاثي المشهور للشعر الإسلامي الذي لازم رسول الله ﷺ وأشاد به ودافع عن دعوته ، وهو فوق ذلك من الشعراء الصحابة الذين رووا الحديث الشريف عن النبي ﷺ ، فقد روى ثمانين حديثا عن النبي ﷺ كما ذكر ابن حزم الأندلسي في كتابه أسماء الصحابة .

وهو أحد الثلاثة الأنصار الذين قال الله فيهم : ﴿ وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [التوبة:١١٨]. والثلاثة هم كعب بن مالك الشاعر هذا ، وهلال بن أمية ومرارة بن ربيعة ، تخلفوا عن غزوة تبوك فتاب الله عليهم وعذرهم وغفر لهم (٢) .

ومع ذلك فإن كعب بن مالك يعد من الشعراء الفرسان الذين دافعوا عن

---

(١) ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة ، مج٣ ، مصدر سابق ، ص ٣٠٢ .
(٢) ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، مج٣ ، مصدر سابق ، ص ٢٨٧.

الدعوة الإسلامية بالسيف والكلمة ، وهو لذلك يجيد وصف المعارك ، وقد وصفه ابن سلام الجمحي في طبقاته بأنه شاعر مجيد (١) .

ويروى أن حسان بن ثابت كان يعير المشركين بالأنساب ، وعبد الله بن رواحة يعيرهم بالكفر ، أما كعب بن مالك فكان يخوفهم بالحرب . قال ابن سيرين بلغني أن دوسًا أسلمت فرقًا من قول كعب بن مالك :

قضينا من تهامة كل وتـــر   وخيبر ثم أغْمدنا السيوفا

نخيرها ولو نطقتْ لقالتْ   قواطعهن دوسًا أو ثقيــفًا

فقالت دوس انطلقوا فخذوا لأنفسكم لا ينزل بكم ما نزل بثقيف.

وقد سأل كعب بن مالك الرسول ﷺ قال : يا رسول الله ماذا ترى في الشعر؟ فقال رسول الله ﷺ : « **المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه** » (٢) .

وشعر كعب بن مالك كثير مثبوت في سيرة هشام عقب الأحداث كبيرها وصغيرها ، وقد جمع الدكتور سامي مكي العاني هذا الشعر وطبعه تحت عنوان: « **ديوان كعب بن مالك** » عام ١٩٦٦م .

والواقع أن كعب بن مالك لم ينل شهرة زميليه حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة، بل إن شاعرًا جاء بعده وأسلم متأخرًا نال شهرة أكثر منه ، وهو كعب بن زهير ، إن ما يميز شعر كعب بن مالك تنوعه ليساير جميع أحداث الدعوة الإسلامية ، فقد جمع كعب الفخر والهجاء والمديح ووصف المعارك والرثاء ومناقضة المشركين .

وأول شعر يقابلنا لكعب بن مالك نقيضته في الرد على ضرار بن الخطاب ، إذ قال كعب :

عَجِبْتُ لأمرِ الله والله قادرُ   على ما أراد ليس لله قاهر

(١) ابن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء ، السفر الأول ، مصدر سابق ، ص ٢٢٠.
(٢) ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، مج٣ ، مصدر سابق ، ص ٢٩٠.

قضى يوم بدر أن نلاقي معشراً بغوا وسبيل البغي بالناس جائرُ
وقد حشدوا واستنفروا من يليهم من الناس حتى جمعهم متكاثرُ
وفينا رسول الله والأوس حوله له معقلٌ منهم عزيزٌ وناصرُ
وجمع بني النجار تحت لوائه يميسون في الماذيّ والنقع ثائرُ
فلما لقيناهم وكلٌ مجاهدُ لأصحابه مستبسلُ النفسِ صابرُ
شَهِدْنا بأنّ اللهَ لا ربّ غيره وأن رسول الله بالحقّ ظاهرُ (١)

فهو في رده حريص على تأكيد المعاني والقيم الإسلامية في شعره ، كالإيمان بقضاء الله ووحدانيته ونبوة محمد ﷺ .

وقد شارك كعب بن مالك في غزوة أُحد بسنانه ولسانه ، فيروى أنه لبس لأمة (عدة الحرب) الرسول ﷺ ولبس الرسول ﷺ لأمته ، أما شعره في أحد فكثير جداً ، فهو مرة يبتكي حمزة بل أكثر من مرة ، ومرة يرد على المشركين، ومرة يمدح النبي ﷺ ، يقول :

سائل قريشًا غداة السفحِ من أحدِ ماذا لقينا وما لاقوا من الهَرَبِ
كنّا الأسودُ وكانوا النّمرَ إذا زحفوا ما إن نراقب من إلٍّ ولا نسبِ
فَكَمْ تركْنَا بها من سيِّد بطلٍ حامي الذمار كريم الجدِّ والحسبِ
فينا الرسول شهابٌ ثم نتبعه نورٌ مضيءٌ له فضل على الشهبِ
الحقُّ منطقه والعدلُ سيرته فمن يُجبْهُ إليه ينجُ من تببِ
نجد المقدمَ ماضِيَ السهمِّ معتزمٌ حين القلوبُ على رجفٍ من الرعبِ
يَمْضِي وَيَذْمُرُنَا عن غَيْرِ مَعْصية كأنه البدرُ لم يطبعْ على الكذبِ
بَدَا لنا فاتبعناهُ نصدّقه وكذبّوه فكنّا أسعَدَ العَرَبِ
جالوا وجُلنا فما فاءُوا وما رجعُوا ونحن نَثْقَفُهمْ لمْ نألُ في الطَّلَبِ

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ، مج٢ ، مصدر سابق ، ص ٤١٢ .

لَيْسا سواءُ شتى بين أمْرِهِمَا حزب الإله وأهلُ الشرك والنصب[١]

ففي الأبيات السابقة إعجاب شديد بالنبي ﷺ فهو يعدد صفاته ، وهو إعجاب مشوب بالحب والإخلاص والتضحية من أجل محمد ﷺ ، وهو ما نلقاه تقريبًا في كل قصائد شاعرنا ، يقول في الخندق .

وَنُطيعُ أمْرَ نبينا ونُجيبهُ وإذَا دعَا لكريهةٍ لَمْ نُسبَقِ

ومتى يُناد إلى الشدائد نأْتِها ومتى نَرَ الحَوْمَاتِ فيها نُعْتقِ

مَنْ يتّبع قَولَ النبيّ فإنّه فينا مَطاعُ الأمْر حقٌ مَصَدّق

فبذاك ينصرنا ويظهر عزَّنا ويُصيبنا من نَيْل ذاكِ بِمرْفَقِ

إن الذين يكذِّبون مُحَمّدًا كفروا وضلُّوا عن سبيل المتقي[٢]

وفي رثاء كعب بن مالك رقة ، لا نعهدها في مدائحه ، أو نقائضه مع مشركي قريش ، وكان قد رثى حمزة بن عبد المطلب كما أشرنا بأكثر من قصيدة ورثى عبيدة بن الحارث ورثى النبي ﷺ .

يقول في رثاء النبي ﷺ :

ألا أنعي النبيّ إلى العالميـــــنا جميعًا ولا سيما المسلميـــــــنَ

ألا أنعي النبيّ لأصحـــــابه وأصحاب أصحابه التابعيــــــنَ

ألا أنعي النبيّ إلى من هَـــــدى من الجنّ ليلة إذ تسعمـــــونَا

لفقْدِ النبيّ إمامِ الهُـــــدَى وفَقْدِ الملائكةِ المنزليـــــــنا

إن هذه العاطفة الصادقة المتأججة إيمانا وإخلاصا للرسول والدين الحنيف لا يمكن أن تصدر إلا عن نفس مؤمنة عميقة الإعيان صادقة كل الصدق محبة للرسول الكريم .

---

(١) ابن هشام : المصدر نفسه ، ص ٥٩ .

(٢) ابن هشام : السيرة النبوية ، المصدر السابق ، ص ١١٥ .

لبيد بن ربيعة

هو لبيد بن ربيعة بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة الكلابي الجعفري أبو عقيل الشاعر المشهور (١) .

قال عنه ابن سلام الجمحي في طبقاته : « كان لبيد بن ربيعة أبو عقيل فارسًا شجاعا، وكان عذب المنطق رقيق حواشي الكلام ، وكان مسلمًا رجل صدق»(٢) .

وكان من عشيرة ذات سيادة وشرف في بني كلاب العامريين ، وقد نشأ لبيد وهو يشعر شعوراً عميقًا بكرامة أسرته وأمجادها ومناقبها ، وبمجرد أن شب أخذ يشترك في حروبها وغاراتها ووفادتها على أمراء الحيرة ، وقد اشتهر في الجاهلية بمعلقته التي مطلعها :

عَفَتْ الديارُ محلُّها فمقامها   بمنىً تَأبّد غُولُها فرجَامُها

فأخذ اسمه يطير في القبائل كشاعر من كبار الشعراء العرب ، ولما سارت الركبان بأمر الرسول ﷺ في المدينة ، ورسالته النبوية ، أرسله عمه أبو براء برسالة إليه ، فوقع الإيمان في قلبه إلا أنه لم يعلن إسلامه حينئذ ، وعاد إلى قبيلته حتى إذا استدار العام خرج مع وفد بني كلاب فأعلنوا دخولهم في الإسلام، وقد أنشد لبيد النبي ﷺ فقال :

أتيْناكَ يا خيرَ البريّة كلّها   لترحَمنَا مما لقينا من الأزلِ

أتيناك والعذراء تَدْمَى لبانها   وقد ذهلتْ أمّ الصبيٌ عن الطفلِ

فإنْ تدعُ بالسقيا بالعفو ترسل   السماء لنا والأمر يبقى على الأصل

وألقى لكنيته الشجاع استكانة   من الجوع صمتا بالمرء ولا نحلِ(٣)

(١) ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة ، مج٣ ، مرجع سابق ، ص ٣٢٦.
(٢) محمد بن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، السفر الأول، مصدر سابق،ص١٣٥ .
(٣) ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، مج٣ ، مصدر سابق ، ص ٣٢٦، =

ورجع لبيد بعد إعلان إسلامه إلى قبيلته يذكر لهم البعث والجنة والنار ويقرأ لهم القرآن ، ويزعم الرواة أن لبيدًا كف بعد إسلامه عن قول الشعر ، ويروون أنه قال بيتا واحدًا يختلفون عليه وهو :

الحمدُ لله إذ لم يأتني أجلي ... حتّى اكتسيتُ من الإسلام سَرْبَالا

وذكر ابن عبد البر في الاستيعاب أن هذا البيت لقردة بن نفاثة السلولي ، ويرى أن البيت الذي قاله حقًا في الإسلام هو :

ما عاتبَ المرءُ الكريمُ لنفسهِ ... والمرءُ يُصْلحه القَرينُ الصالحُ

وسواء أقال هذا البيت أم غيره ، فإنّ المتأمل في ديوان لبيد يجد له أشعارًا كثيرة تفيض بمعانى الإسلام ومثاليته الروحية بحيث يمكن أن نقسم شعره إلى قسمين : قسم جاهلي ، وقسم إسلامي .

وفرق شاسع بين شعره الجاهلي ، بما يحمله من غريب اللفظ وتراكيب الجاهلية وقيمها ومعانيها ، وشعره الذي قاله بعد إسلامه ، فقد هذبت قراءته للقرآن من لفظه وأدخلت عليه قليلاً من الطلاوة وأشعت فيه روح الإسلام . ويمكن أن نلمس أثر الإسلام في قصيدته التي رثى فيها أخاه أربد :

بَلينا وما تَبْلَى النجومُ الطوالعُ ... وتَبْقَى الجبالُ بَعْدنا والمصانعُ

فلا جزع إن فرّق الدهر بيننا ... وكل فتى يوما به الدهر فاجع

وما المرءُ إلا كالشهاب وضوئه ... يحور رمادًا بعد إذْ هو ساطعُ

وما البرُّ إلا مضمرات من التُقى ... وما المالُ إلا عاريات ودائعُ

ويتغلغل الإسلام في ضمير لبيد فيتجه بأشعاره إلى ربه منيبًا إليه ، والوجل يملأ قلبه من يوم الحساب ، فيقول :

= ٣٢٧ .

إنما يحفظ التقى الأبرار وإلى الله يستقر القرارُ
وإلى الله ترجعون وعند الله ورء الأمور والإصدارُ
كل شيء أحصى كتابا وعلما ولديه تجلت الأسرارُ
إن لم يكن في الحياة خير فقد أنظرت لو كان ينفع الإنظارُ
عشتُ دهرًا ولا يدوم على الأيام إلا يرمرمٌ وتعار

ونستمر مع لبيد في شعره الإسلامي ، فنذكر لاميته التي نظمها بعد إسلامه، وأعجب الرسول ﷺ بأحد أبياتها ، فيروى عن أبي هريرة أنه ﷺ قال : «**أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد : [ألا كل شيء ما خلا الله باطل]** » ووقع في معجم الشعراء للمرزباني أن النبي ﷺ قالها على المنبر [١] . وما ذكره النبي ﷺ شطر من قول لبيد المشهور :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالةَ زائلُ
أرى الناس لايدرون ما قدّر لهم بلى كل ذي لبٍّ إلى الله راسلُ
وكل امرئ يومًا سيعلم سعيه إذا كشفُتْ عند الإله المحاصلُ
وكل أناسٍ سوف تدخل بينهم دُوَيْهة تصغُّر منها الأناملُ

فالشاعر يستمد معانيه وألفاظه من القرآن الكريم ولاسيما قوله تعالى : ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**﴾ [الرحمن: ٢٦ ، ٢٧]. كما أنه متأثر بالآية الكريمة : ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ﴾ [آل عمران: ١٨٥] ، وبقوله تعالى : ﴿ **أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ** ﴾ [العاديات: ٩ ، ١٠].

ويعمر لبيد بن ربيعة طويلاً ، فيقال أنه مات وله من العمر مائة وثلاثون سنة، فيتعمق الإسلام روحه ، ويحيل شعره إلى قصائد دينية خالصة ، مثل قوله

(١) ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تمير الصحاب ، مج٣ ، مصدر سابق ، ص ٣٢٧.

من لامية أخرى :

إن تقوى ربِّنا خير نفـــــل وبإذن الله ريثي وعجـــــلْ
أحمد الله فلا ندّ لـــــه بيديه الخير ما شاء فعـــلْ
من هداه سبيل الخير اهتـــدى ناعم البال ومن شاء أضـــلْ
فاكذب النفس إذ حدثتـــها إن صدق النفس يدري بالأمـــلْ
غير أن لا تكذبها في التقـــى واخزها بالبرِّ لله الأجـــلْ

وقد مات لبيد بن ربيعة بالكوفة أيام الوليد بن عقبة في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه [١] .

---

(١) ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، مج٣ ، مصدر سابق ، ص ٣٠٧ .

مازن بن غضوبة

هو مازن بن غضوبة بن شماسة الطائي ، من أهل سمائل ، تجمع المصادر على أنه أول من أسلم من أهل عمان ، رحل من عمان متجهًا صوب المدينة المنورة ، وكان ذلك في السنة السادسة للهجرة ليتيقن من صدق النبي ﷺ ومبعوث خالق السماوات والأرض (١) .

التقى مازن بالنبي ﷺ فدعا له ولأهل عمان بالخير ، وبالنسبة لشعره سواء في الجاهلية أم في الإسلام فلم يصل إلينا منه إلا ثلاث مقطوعات ، ومع ذلك يعد أكثر شعر وصل إلينا من شاعر عماني في صدر الإسلام ، التقى بالنبي ﷺ وسمع منه ، وعلى الأرجح فإن هذه المقطوعات بقايا قصائد طويلة ، ويعنينا أن نقف عند مضمونها الإسلامي ، على أية حال يمتاز شعر مازن بن غضوبة ـ على الأقل ما وصلنا منه ـ بسهولة اللفظ وبعده عن الغرابة والوعورة مما يدل على أنه قيل بعد إسلامه ، حيث نلحظ أيضًا التأثر بمعاني القرآن الكريم.

يقول مازن بن غضوبة بعد أن التقى بالنبي ﷺ وقد شرح له الإسلام فاهتدى به وأسلم :

كسرت ناجرًا جذاذًا وكان لنا ربًا نطيف به ضلا بتضلال
بالها شمس هدانا من ضلالتنا ولم يكن دينه مني على بال
يا راكبًا بلغن عمرًا وإخوتها أني لمن قال ربي ناجر قال(٢)

ثم عاد إلى قومه ليدعوهم إلى الإسلام ، غير أنه رجع إلى النبي ﷺ في رحلة أخرى ، ربما ليطمأنه أنه نجح في نشر الإسلام ، يقول في ذلك منشدًا

(١) نور الدين السالمي : تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان ، جـ ١ ، مكتبة الاستقامة ، مسقط، د . ت ، ص ٥٣ .

(٢) نور الدين السالمي ، المصدر نفسه ، ص ٥٤ .

رسول الله ﷺ .

إليك رسول الله خبت مطيتي ... تجوب الفيافي من عمان إلى العرجِ
تشفع لي يا خير من وطئ الحصا ... فيغفر لي ربي فأرجع بالفلجِ
إلى معشر جانبت في الله دينهم ... فلا دينهم ديني ولا شرجهم شرجي
وكنت امرءًا باللهو والخمر مولعًا ... شبابي إلى أن آذن الجسم بالنهج
فبدلني بالخمر أمنًا وخشية ... وبالعمر إحصانًا فحصّن لي فرجي
فأصبحت همي في الجهاد ونيتي ... فـلله ما صومي ولله ما حجي[1]

فإلى جانب سهولة الألفاظ ووضوح التراكيب ، نجد تأثر مازن بن غضوبة بالقرآن الكريم واضحًا ، فهو في البيت الثالث متأثر بقوله تعالى : ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون : ٦] ، أما في البيت الأخير فمتأثر بقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام : ١٦٢] .

(١) نور الدين السالمي ، المصدر نفسه ، ص ٥٥ ، ٥٦ .

مالك بن عوف النصري

هو مالك بن عوف النصري زعيم هوزان وثقيف ، قاد أكبر معركة قام بها المشركون ضد المسلمين ـ أي معركة حنين ـ وقد أبلى بلاء حسنًا في المعركة ، ونسمعه يعتذر عن قراره بعد تحول النصر إلى المسلمين ويلوم قومه :

كلفتموني ذنـــب آل محـمـــد　　والله أعلم من أعق وأظلـــم
وخذلتموني إذ أقاتل واحــــدًا　　وخذلتموني إذ أقاتل خثعـــم
وإذا بنيت المجد يهدم بعضـــكم　　لا يستوي بانٍ وآخر يهـــدم[1]

وقد أسلم مالك بن عوف وحسن إسلامه ، إذ رغب الرسول ﷺ في إسلامه، فقد روى ابن إسحاق في سيرته أن رسول الله ﷺ سأل وفد هوزان بعد انتهاء المعركة ، وبعد أن ردّ لهم سبيهم ، فقالوا هو بالطائف مع ثقيف ، فقال رسول الله ﷺ : « **أخبروا مالكًا إنه إن أتاني مسلمًا رددت إليه أهله وماله وأعطيته مائة من الإبل** » وعندما علم مالك بذلك خرج متسللا ليلاً من الطائف ولحق بالرسول ﷺ بالجعرانة أو بمكة فأوفى له الرسول ﷺ ، وقال حين أسلم :

ما إن رأيت ولا سمعت بمثـــله　　في الناس كلهم بمثل محمـــــد
أوفى وأعطى للجزيل إذا اجتُـدي　　ومتى تشأ يخبرك عما في غـــد
وإذا الكتيبة غردت أنيابـــها　　بالسمهري وضرب كل مهنـــد
فكأنه ليث على أشبــــاله　　وسط الهباءة حاذر في مرصـــد[2]

وقد استعمله النبي ﷺ على من أسلم من قومه ، فكان يقاتل بهم ثقيفًا ،

---

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ، المجلد الثاني ، مصدر سابق ، ص ٢٦١ ، ٢٦٢ .
(٢) ابن هشام : المصدر نفسه ، ص ٢٧٢ .

فلا يخرج لهم سرج إذ أغار عليه [١] ، وقد ضج منه أبو محجن الثقفي ولم يكن قد أسلم بعد ، فقال :

هابت الأعـداء جانبـــنا ثم تغزونا بنو سلمـــــة

وأتانا مـــالك بهــــــم ناقضًا للعهد والحرومـــة

وأتونا في منـــازلــــــنا ولقد كنا أولى نعمـــــة

ولا نعلم بعد ذلك لمالك بن عوف شعرًا في النبي ﷺ .

(١) ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة ، المجلد الثالث ،مصدر سابق ، ص ٣٥٢ .

مالك بن نمط

هو مالك بن نمط بن قيس بن مالك الهمداني ، قدم إلى المدينة على رأس وفد همدان بعد فتح مكة مسلمًا ، فقابل النبي ﷺ أثناء عودته من غزوة تبوك ، آخر غزوات النبي ﷺ ، وكان ذلك في رمضان من السنة التاسعة للهجرة ، وأول ما قاله في النبي في ذلك اليوم رجزًا ، يشير فيه إلى أنه وقومه قد قطعوا الفيافي لمقابلة النبي ﷺ والدخول في الدين الجديد .

إليك جاوزن سوادَ الريفِ   في هبوات الصيفِ والخريفِ

مخطمات بخـــطام الليف[1]

وكان مالك بن نمط فوق ذلك شاعرًا بليغًا ، ومتكلمًا فصيحًا ، رأى من النبي ﷺ أنسًا ورحمة ومودة ونورًا مشرقًا ، انعكس على روحه وقلبه المتفتح للإسلام، فقام للنبي يعاهده على الإسلام هو وقومه الذين أتوا معه فقال :

يا رسول الله . . هاهم أولاء . . خيار القوم وكبارهم من همدان ، يمثلون كل حواضرها وبواديها . . أتوك يا حبيب الله على إبل نجيبة قوية سريعة . . يتصلون بحبائل الإسلام ، لا تأخذهم في الله لومة لائم . . جاءوك يا رسول الله من كل مدينة ، وكل قرية ، وقد أجابوا دعوة الرسول ﷺ وفارقوا الإلهيات والأنصاب وقد عاهدوا الله وعاهدوا رسوله ، عهدًا لا ينتقض أبدًا ما أقامت لصلع (اسم جبل) وحاجري اليعفود بصلع .

فرحب بهم النبي وعلّمهم من فضل ربه علمه عن الإسلام : أركانه وواجباته ونواهيه وما يحل ويحرم ، ثم كتب النبي لهم كتابًا أعطاه لمالك بن نمط .

ويعنينا هنا أن نذكر أن مالك بن نمط زعيم القوم وشاعرهم كان صادق

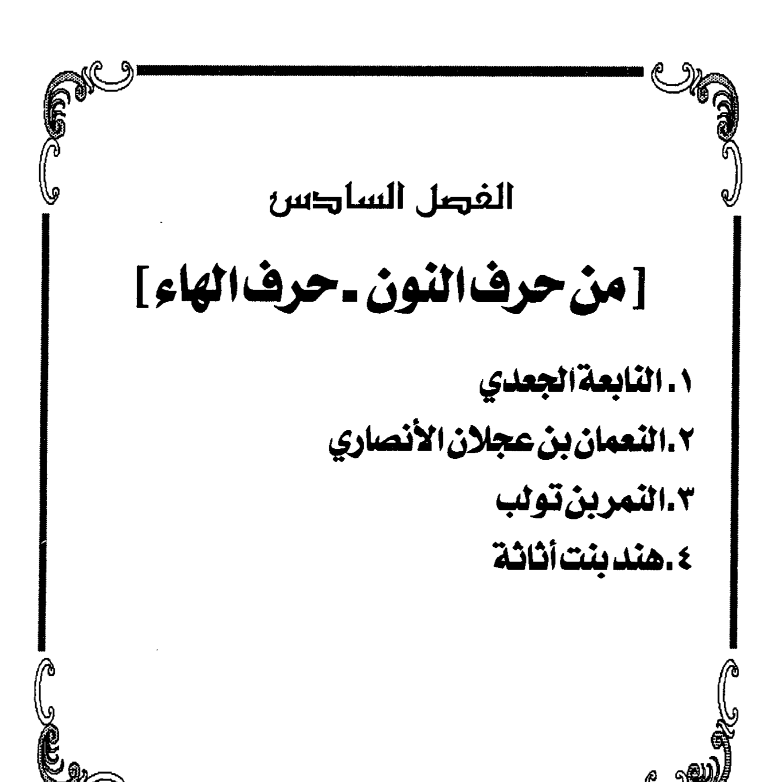
(١) ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة ، مج٣ ، مصدر سابق ، ص ٣٥٦ .

الإيمان، ويظهر ذلك فيما وصل إلينا من شعره في النبي ﷺ ، إذ يقول :

ذكرت رسول الله في فحمةِ الدُّجَى ... ونحـــــن بأعلى رَحْرحَان وصَلْدَدِ
وهنّ بنا خوص طلائع تعتــــــلي ... بركبانها في لاحــــبٍ مُتمـــــدّدِ
على كل فتلاء الذراعين جــعدة ... تمرّ بنا مرّ الهخف الخفيــــددَدِ
حلفت برب الرقصات إلى منى ... صوادر بالركبان من هضب قـــرددِ
بأن رسول الله فينا مصــــدّقٌ ... رسول أتى من عند ذي العرش مُهتدي
لمّا حملت من ناقةٍ فوق رحلها ... أشدٌّ على أعدائه من محـــــمد
وأعطى إذا ما طالب العرف جــاءَه ... وأمضى بحدّ المشرفيّ المهنـــــد[1]

والأبيات في مجملها تنم عن شاعرية قوية وعاطفة صادقة وإعجاب بالنبي ﷺ يؤكد صدق إيمان الشاعر وتأثره بالإسلام .

(١) ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، المجلد الثالث ، مصدر سابق، ص٣٧٩.



الفصل السادس

[من حرف النون ـ حرف الهاء]

١. النابغة الجعدي
٢. النعمان بن عجلان الأنصاري
٣. النمر بن تولب
٤. هند بنت أثاثة

النابغة الجعدي

هو قيس بن عبد الله بن عُدَس بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن عامر بن صعصعة[١] كنيته أبو ليلى ، ولقبه النابغة ، وكان النابغة قديمًا شاعرًا مفلقا طويل البقاء في الجاهلية والإسلام وكان أكبر من النابغة الذبياني « وقيل له النابغة فيما يقولون لأنه قال الشعر في الجاهلية ثم قام مدة نحو ثلاثين سنة لا يقول الشعر ثم نبغ فيه بعد فقاله فسمى النابغة »[٢] .

ويعد النابعغة الجعدي من أكثر الشعراء المخضرمين تأثرًا بالقرآن الكريم لفظا ومعنى ، فقد وهب نفسه للإسلام وأخذ يتلو القرآن الكريم آناء الليل وأطراف النهار، يستقي منه معاني شعره التي جاءت متمثلة لقيم الإسلام وتعاليمه تمثلاً واعيا عميقا ، بالإضافة إلى أنه استعار كثيرًا من ألفاظه وصوره البيانية فبلغ بها حدًا لا يجارى ، كما أنه استمد من قصصه كثيرًا من مادته الشعرية .

وفد النابغة الجعدي على رسول الله ﷺ مع قومه سنة تسع للهجرة ، يقول النابغة : أتيت رسول الله ﷺ فأنشدته قولي :

وإنا لقوم ما نعود خيلنا ... إذا ما التقينا أن تحيد وتنظرا

وننكر يوم الروع ألوان خيلنا ... من الطعن حتى نحسب الجون أشقرا

وليس بمعروف لنا أن نردها ... صحاحا ولا مستنكرا أن تعقرا

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا ... وإنا لنرجو فوقذلك مظهرا

فقال النبي ﷺ : « **إلى أين يا أبا ليلى** » ، فقلت : إلى الجنة ، قال : « **نعم إن شاء الله تعالى** » فلما أنشدته :

---

(١) محمد بن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء ، السفر الأول ، مصدر سابق ، ص ١٢٣ .

(٢) ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، مج٣ ، مصدر سابق ، ص ٥٨١ .

ولا خيرَ في حلمٍ إذا لم يكنْ له بوادرُ تَحْمِي صفوه أن يكدرا
ولا خيرَ في جهلٍ إذا لم يكنْ له حليم إذا ما أوردَ الأمر أصدرا

فقال رسول الله ﷺ : « **لا يفضض الله فاك** » (١) .

والقصيدة طويلة تصل إلى مائتي بيت ، وقيل أن النابغة أنشدها النبي ﷺ كاملة ، والقصيدة على هذا النحو كتبت في الجاهلية ، فزاد فيها الشاعر بعض الأبيات عندما أنشدها النبي ﷺ ، مثل قوله من القصيدة نفسها :

أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى ويتلو كتابا كالمجرّة نيّرًا
وجاهدتُ حتّى ما أحسن ومن معي سهيلاً إذا ما لاح حتّى تحوّرا
أقيم على القتوى وأرضى بفعْلها وكنتُ من النارِ المخوفةِ أحْذَرا

وواضح في هذه الأبيات أثر الإسلام ـ وإن كان الشاعر أقحمهما إقحاما لكي ينشدها أمام الرسول ـ (٢). فهو يمدح النبي ﷺ بما أتى من الهداية وما أنزل عليه من القرآن ، كما يفخر بإسلامه وجهاده وتقواه .

على أن أثر الإسلام يظهر بعد ذلك في شعر النابغة الجعدي بعدما يوغل في الإسلام ، حتى تكاد أن تكون نظمًا لتعاليم الإسلام وقيمه مثل قوله :

الحمدُ لله لا شريكَ لَهُ مَنْ لم يَقُلها فنَفْسَه ظلَمَا
المولِجَ اللَّيْلَ في النَّهَارِ وفي اللـ ـيلِ نَهَارا يفرج الظُّلَمَا
الخافضِ الرَّافِع السَّماء على الْ أرْض ولم يَبْنِ تَحتَهَا دِعَمَا
الخالق الباريء المُصوِّر في الْ أرحَامِ ماءَ حتَّى يَصير دَمَا
من نُطفَة قَدَّرها مَقَدِّرُها يَخلُقُ منها الأبْشَارَ والنَّسَمَا
ثمَّ عِظامًا أقامَها عَصَبٌ ثُمَّت لَحمًا كَسَاهُ فالتَأما

(١) ابن عبد البر : المصدر نفسه ، ص ٥٨٤ .
(٢) محمود على مكي : المدائح النبوية ، مرجع سابق ،ص ٤٢ .

ثُمَّ كَسَا الرِّيشَ والعَقَائِق أبـ شارًا وجـــلْدًا تَخَالُهُ أَدَمَا
والصَّوْتَ واللوْنَ والمَعايشَ والـ أخلاق شتَّى ، وفرَّق الكلمـــَا
ثُمَّتَ لابدَّ أنْ سَيَجمعكـــــم والله ، جَهْرًا ، شَهَادة قَسمَا
فائتَمِروا الآنُ مـــــا بَدَا لكُمُ واعتَصموا إنْ وَجَدْتُمْ عِصَمـــا
في هـــــذه الأرضِ والسَّماءِ ولا عِصْمَةَ منه إلاَّ لِمَنْ رَحـــــمَا
يـــــا أيُّها الناسُ تَرَوْن إلى فَارسَ بادتْ وخدُّهـــــا رَغِما
أمْسَوْا عبـــيدًا يَرْعَوْن شَاءَكم كأنَّما كان مُلْكهـــــم حُلُمـــَا
أوْ سَبَأ الحاضِرِينَ مَأربَ إذْ يَبْنُون من دُونِ سَيْلِهِ العرِمَا
فمزِّقُوا في البِلادِ واعْتَرَفُوا الـ ـهُونَ وذاقُوا البأساءَ والعَدَما
وبُدِّلُوا السِّدْرَ والأَرَاكَ به الـ ـخَمْطَ وأضْحَى البُنْيانُ مُنْهَدِمَا[1]

والمتأمل في الأبيات يجد أن ألفاظ القرآن ومعانيه تزدحم فيها ازدحاما كثيفا ، فهو في بداية الأبيات يثنى على الله تعالى مقرراً إيمانه بوحدانيته ، ثم يعدد آيات الله وصفاته وقدرته ، ويذكرنا بالأمم السابقة كفارس وسبأ التي طغت فكان جزاؤها الإبادة .

ولم يقف النابغة في شعره عند تمثل معاني القرآن وألفاظه . فنجده يجمع بين الإيمان والعمل به والجهاد في سبيل الله ، فمعروف أنه قد حسن إسلامه وخرج إلى بلاد فارس مجاهدا في سبيل الله ، ولعلنا نقف عند هذه الأبيات التي يخاطب فيها زوجته ، إذ كانت عنده تصده عن الخروج إلى الجهاد :

باتتْ تذكرني بالله قاعِدةَ والدمعُ ينهلُّ من شأنيهما سَبَلا
يا ابنة عميّ كتابُ الله أخرجني كُرْها ، وهل امنعنَّ الله ما فعلا

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، جـ ١ ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٩٩٦ ، ص ٢٩٤ ، ٢٩٥.

فإن رجعتُ فربُّ الناس يَرْجِعُني وإنْ لحقتُ بربيٍّ فأبتغي بدلا
ما كنتُ أعَرجَ أو أعمى فيعذرني أوضارعا من ضني لم يستطع حِولا[١]

إن المتأمل في هذه الأبيات الأربعة يلحظ تأثر الشاعر بالقرآن الكريم ، فهو في البيت الثاني متأثر بقوله تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١٦] . وفي البيت الرابع نجده متأثرًا بقوله تعالى : ﴿لَّيْسَ عَلَى الأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [النور: ٦١].

من ناحية أخرى يمكن القول أن في رد النابغة الجعدي على امرأته دليل قاطع على أن الجهاد ـ خاصة في الفتوحات الإسلامية ـ لم يكن إلا جهادا في سبيل الله، دافعه الوحيد هو العقيدة الدينية وليس طمعًا في الغنائم وخيرات البلاد المفتوحة ، كما يزعم المغرضون من المستشرقين ومن تبعهم من الدارسين .

وقد عمر النابغة طويلاً ، فيروى أنه وفد على عبد الله بن الزبير في مكة وكان قد استقل بالأمر وأنشده قوله :

حكيت لنا الصديق لما وليتنا وعثمان والفاروق فارتاح معدمِ
وسوّيت بين الناس في الحقِّ فاستووا فعاد صباحًا حالك الليل مظلمِ
أتاك أبو ليلى تجوب به الدُّجى دجى الليل جوّاب الفلاة عرمرمِ
لتجير منه جانبا دعدعت به صروف الليالي والزمان المصمم

فقال الزبير : هون عليك يا أبا ليلى ، فإن الشعر أيسر وسائلك عندنا لك في مال حقان ، حق لرؤيتك رسول الله ﷺ وحق لشركتك أهل الإسلام في فيئهم[٢]. ثم أخذه بيده وأعطاه من بيت المال .

وكانت وفاة النابغة سنة خمسين للهجرة .

(١) ابن قتيبة : المصدر نفسه ، ص ٢٩٣ .
(٢) ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة ، مج٣ ، مصدر سابق ، ص ٥٤٠ .

النعمان بن عجلان الأنصاري

هو النعمان بن عجلان بن النعمان بن عامر ذريق الأنصاري الزرقي ، كان لسان حال الأنصار وشاعرهم [1] . وهو الذي خلف على خولة بنت قيس امرأة حمزة بن عبد المطلب بعد قتله واستشهاده في غزوة أحد .

ويقال أنه كان رجلاً أحمر قصيرا تزدريه العين ، ومع ذلك كان سيدا في قومه، ويُعدّ من شعراء الدعوة المنافحين عن الإسلام ، وكان يلقب بشاعر الأنصار؛ ربما لأنه في شعره كان يحرص على الفخر بدور الأنصار في مناصرة الدعوة المحمدية .

وقد وصلنا من شعره قصيدة طويلة تعد تاريخا للدعوة المحمدية من خلال دور الأنصار فيها ، يقول النعمان بن عجلان الأنصاري :

فقل لقريش نحن أصحاب مكة	ويوم حنين والفوارس في بدر
وأصحاب أحد والنضير وخيبر	ونحن رجعنا من قريظة بالذكر
ويوم بأرض الشام إذ قتل جعفر	وزيد وعبد الله في علق يجري
وفي كل يوم ينكر الكلب أهله	نطاعن فيه بالمثقفة السمر
ونضرب في يوم العجاجة أرؤسا	بيضًا كأمثال البروق على الكفر
نصرنا وآوينا النبي ولم نخف	صروف الليالي والعظيم من الأمر
وقلنا لقوم هاجروا مرحبا بكم	وأهلا وسهلا قد أمنتم من الفقر
نقاسمكم أموالنا وديارنا	كقسمة أيسار الجزور على الشطر
ونكفيكم الأمر الذي تكرهونه	وكنا أناسا نذهب العسر باليسر

(1) ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة ، مج٣ ، مصدر سابق ، ص ٥٦٢ .

وكان خطأ ما أتينا وأنتم صوابا كأنا لا نريش ولا نبري
وقلتم حرام نصب سعد ونصبكم عتيق بن عثمان حلال أبا بكر
وأهل أبو بكر لها خير قائم وإن عليا كان أخلق للأمر
وكان هوانا في علي وإنه لأهل لها من حيث ندري ولا ندري
وهذا بحمد الله يشفي من العمى ويفتح آذانا ثقلن من الوقر
نجي رسول الله في الغار وحده وصاحبه الصديق في سالف الدهر
فلولا اتقاء الله لم تذهبوا بها ولكن هذا الخير أجمع للصبر
ولم نرض إلا بالرضا ولربما ضربنا بأيدينا إلى أسفل القدر[1]

آثرت أن أنقل القصيدة كاملة هنا ، لأنها الشعر الوحيد الذي روى للنعمان ابن عجلان في المصادر الأدبية القديمة ، وإذا كان الرواة لم يذكروا أن النعمان أنشد النبي ﷺ شعرا مادحًا ، فإنهم يذكرون أنه كان له معه صحبة ، فيروى أن المنبي ﷺ دعا له بالشفاء العاجل ، عندما دخل عليه وهو مريض . يقول النعمان : دخل عليّ رسول الله ﷺ وأنا أوعك ، فقال : « **كيف تجدك يا نعمان ؟** » فقلت: أجدني أوعك . فقال : « **اللهم شفاء عاجلا** » وقد عمر النعمان حتى عهد علي ابن أبي طالب ، وكان قد استعمله على البحرين ، ولعل ذلك يفسر ميوله العلوية في القصيدة التي ذكرناها آنفا ، فجعل النعمان يعطي كل من جاء من بني زريق وقومه، فقال فيه الشاعر أبو الأسود الدؤلي :

أرى فتنةً قد ألهت الناسَ عنكم فندلاً زريق المال ندلِ الثعالبِ
فإن ابن عجلان الذي قد علمتم يبددُ مالَ اللهِ فعْلَ المناهب

ولا يعرف ـ كما أشرنا ـ لابن عجلان شعراً غير الذي ذكرنا ، ولم يذكره ابن سعد في طبقاته الكبرى فيمن رثى النبي ﷺ .

(١) ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، مج ٣ ، مصدر سابق ، ص ٥٤٩ ، ٥٥٠ .

النمر بن تولب

هو النمر بن تولب بن زهير بن أقيش بن عبد كعب بن الحرث بن عوف بن وائل بن قيس بن عوف بن عبد مناف بن أد العكلي [١] . قال عنه المرزباني في معجم الشعراء : كان شاعرًا فصيحًا وفد على النبي ﷺ وكتب له كتابًا ، ثم نزل البصرة بعد ذلك . وقد وضعه ابن سلام الجمحي في الطبقة الثامنة ، وقال عنه : جواد لا يليق شيئًا ، وكان شاعرًا فصيحًا جريئًا على المنطق وكان أبو عمر يسميه الكيس لحسن شعره [٢] .

عمر طويلاً حتى أنكر عقله ، فيقال أنه عاش مائتي سنة ، وهو القائل :

يَوَدُّ الفتى طُولَ السلامةِ جاهدا ... فكيف يرى طول السلامة يَفْعل

يرد الفتى بعد اعتدال وصحةٍ ... ينوء إذا رام القيام ويُحمل

وهو قول يدل على كبر سنه أو تجربته في كبر السن .

أما شعره الذي أنشده النبي ﷺ حين وفد عليه فهو قوله :

إنا أتيناك وقد طال السَّفَرْ ... نقود خيلا ضمرا فيها عسر

نطعمها اللحَم إذا عز الشجرْ ... والخيل في إطعامها اللحم ضرر

يا قوم إنّي رجلٌ عندي خَبَرْ ... اللهُ مِنْ آياته هذا العمر

والشمس والشعرى وآيات أُخرْ [٣]

وعلى الرغم من قلة ما وصلنا من شعر النمر بن تولب ، فإن القليل الذي

---

(١) ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة ، مج٣ ، مصدر سابق ، ص ٥٧٢.

(٢) محمد بن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء ، السفر الأول ، مصدر سابق ، ص ١٦٠ .

(٣) ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، مج٣ ،مصدر سابق ، ص ٥٨٠ .

بين أيدينا يدل على تأثره الكبير بالإسلام ، مثل قوله :

لا تعضبَنَّ على امرئ في مَاله وعلى كرائم صُلب مالكَ فاغضب
وإذا تُصِبْك خصاصة فارجُ الغنَى وإلى الذي يُعطى الرَّغائب فارْغَب

في البيت الأول يدعو الشاعر إلى القناعة وعدم السخط والحقد على الآخرين، وفي البيت الثاني دعوة صريحة إلى الاعتماد على الله تعالى واللجوء إليه لنيل الغنى .

ومن شعره الجيد أيضا الذي يظهر فيه الأثر الإسلامي قوله :

أقي حسبي به ، ويعزّ عِرْضي عليّ إذا الحفيظة أدْركتني
وأعلمُ أنْ ستدركني المنايا فإلاّ أتبّعها تتبعـــــــني

على أن أثر الإسلام يظهر بصورة أوضح في قوله :

أَعِذْني رَبِّ من حَصَرَ وَعِيّ ومِنْ نَفس أُعالجها عِلاجًا
ومن حاجات نَفْسي فاعصمني فإنّ لمضمرات النفس حاجًا
وأنت وَلِيّها فبرئتُ مِنها إليك وما قَضَيْت فلا خلاجًا

ففي الأبيات السابقة تظهر نغمة التوسل إلى الله تعالى والرجاء والدعاء بالحماية من شرور النفس وكذلك يظهر الاستسلام والخضوع لله تعالى .

ولا يفوتنا أن نشير إلى أن ابن قتيبة عدّ النمر بن تولب من أظرف الناس شعرًا[1] لقوله :

أهيم بدعدٍ ما حييت فإنْ امتْ أوصِّ بدعدٍ مَنْ يهيم بها بَعْدِي

---

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، مصدر سابق ، ص ٣١٠ .

هند بنت أثاثة

هي هند بنت أثاثة بن عباد بن عبد المطلب بن مناف ، وأخت مسطح بن أثاثة، فهي مطلبية قرشية ، أسلمت بمكة في فجر الدعوة قبل الهجرة إلى المدينة بوقت طويل ، وقد خاضت معارك الإسلام بشعرها ، ونافحت عن رسول الله ﷺ وهجت كفّار قريش وجرى بينها وبين هند بنت عتبة زوج أبي سفيان بن حرب مناقضات شعرية ، فكانت في ذلك شريكة لحسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة ، مع فارق القدرة الشعرية بينها وبينهم ، ومع ذلك تستحق أن تعد من شعراء الدعوة الإسلامية .

في وقعة أحد تقف هند بنت عتبة على صخرة عالية تفتخر بقتل حمزة بن عبد المطلب وغيره ممن أصيب من المسلمين قائلة :

نحن جزيناكم بيوم بدر والحرب بعد الحرب ذات سُعرِ
ما كان عن عتبة لي من صبر ولا أخي وعمه وبكري
شَفَيتُ نفسي وقضيتُ نذري شَفَيتُ «وحشيّ» غليل صدري

وعند ذلك تجيبها هند بنت أثاثة ناقضة قولها ومفندة حجتها ، قائلة :

خزيت في بدر وبعد بدر يا بنتَ وقّاع عظيم الكفر
صبّحك الله غداة الفجر ملها شميين الطوال الزهرِ
بكل قطاع حسام يفري حمزة ليثي وعليٌّ صقري
إذ رام شيب وأبوك غدري فخضبّا منه ضواحي النحر

غير أن مقدرة هند بنت أثاثة الشعرية وتميزها سيظهر في غرض الرثاء ، حيث ترثي شهداء بدر ، وخاصة الصحابي الجليل ، عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ، حامل أول راية عقدها رسول الله ﷺ لأحد من المسلمين ، وكان عبيدة بن الحارث

قد استهشد في بدر متأثرًا بجراحه ، بعد أن استطاع أن يقتل عتبة والد هند زوج أبي سفيان بن حرب المذكورة آنفا ، تقول هند بنت أثاثة .

لقد ضمن الصفراء مجدًا وسؤددًا وحِلما أصيلا وافر اللبّ والعَقْلِ
عبيدة فأبكيه لأضياف غربة وأرملة تهوي لأشعث كالجِذْلِ
وبكّيه للأقوام في كل شتوةٍ إذا احمرّ آفاق السماء من المحلِ[(١)]

والأبيات تنمّ عن موهبة شعرية وتمكن واضح من فن الشعر ، وإن رأينا مسحة جاهلية واضحة في المعاني والألفاظ ، بيد أنه مع مرور الأيام ترقّ ألفاظها، وتلين ، وتبدو فيها المعاني الإسلامية واضحة جلية ، نرى ذلك في رثائها للنبي ﷺ وقد كان الرثاء هو الغرض الغالب على شعرها . أورد لها ابن سعد في طبقاته الكبرى ثلاث مقطوعات جميعها في رثاء النبي ﷺ ، نكتفي هنا بذكر الثانية منها ، حيث يظهر فيها أثر الإسلام وصدق العاطفة ودقة تكشف عن طبيعة المرأة في رثائها وشعرها عامة :

ألا يا عين بكّى لا تملّى فقد بكر النعيٌّ بمن هويتُ
وقد بكَر النعيٌّ نراك شخصٍ رسول الله حقا ما حبيتُ
ولو عشنا ونحن نراك فينا وأمر الله يترك ما بكيت
فقد بكر النعيٌّ بذاك عمدا فقد عظمت مصيبة من نعيتُ
وقد عظمت مصيبته وجلّتْ وكل الجهد بعدك قد لقيت
إلى ربٍّ البرية ذاك نشكو فإنّ الله يعلمُ ما أتيتُ
أفاطِمَ إنه قد هدّ ركني وقد عظمت مصيبة من رُزيتُ[(٢)]

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ، المجلد الأول ، مصدر سابق ، ص ٤٢٣ .
(٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، المجلد الثاني ،مصدر سابق ، ص ٣٣١ .



المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

١ ـ **أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح** : من اسمه عمرو من الشعراء ، تحقيق الدكتور عبد العزيز بن ناصر المانع ، مكتبة الخانجي القاهرة ، ١٩٩١ .

٢ ـ **أبو الفرج الأصفهاني** : الأغاني ، دار الشعب ، القاهرة ، ١٩٧٥ .

٣ ـ **إسماعيل اليوسف** : الخنساء ،سلسلة الشعراء العرب ، دار الكتاب العربي ، دمشق ، بدون تاريخ .

٤ ـ **الأعشى** : شرح ديوان الأعشى الكبير ، دار الكتاب العربي ، ط١ ، بيروت، ١٩٩٢ .

٥ ـ **ابن حجر العسقلاني** : الإصابة في تمييز الصحابة ، مؤسسة التاريخ العربي ودار إحياء التراث العربي ، بيروت ، بدون تاريخ .

٦ ـ **ابن خلدون** : المقدمة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، بدون تاريخ.

٧ ـ **ابن رشيق** : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، دار الجيل ، بيروت، ١٩٨١ .

٨ ـ **دكتور سامي مكي العاني** : الإسلام والشعر ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب (عالم المعرفة) ، الكويت ، ١٩٨٣ .

٩ ـ **ابن سعد** : الطبقات الكبرى ، دار صادر بيروت ،بدون تاريخ .

١٠ ـ **د . سيد حنفي حسنين**: ديوان حسان بن ثابت، دار المعارف، القاهرة١٩٨٣ .

١١ ـ **د . شوقي ضيف** : العصر الإسلامي ، دار المعارف ، ط ٨ ، القاهرة، ١٩٧٨ .

١٢ ـ **د. صلاح عيد** : مديح الرسول في فجر الإسلام ، دار المعرفة ، القاهرة ، ١٩٧٥ .

١٣ ـ طه حسين : حديث الأربعاء ، جـ ١ ، دار المعارف ، ط ١٤ ، القاهرة ، ١٩٩٣ .

١٤ ـ د . **عائشة عبد الرحمن بنت الشاطيء** ، قيم جديدة للأدب العربي القديم والمعاصر ، دار المعارف ، ط٢ ، القاهرة ، ١٩٩٢ .

١٥ ـ **ابن عبد البر القرطبي** : الاستيعاب في معرفة الأصحاب (على هامش كتاب الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلان) مج٤ ،مؤسسة التاريخ العربي ودار إحياء التراث العربي ، بيروت ، بدون تاريخ .

١٦ ـ **عبد العزيز الدسوقي** : محمد والشعر ، مجلة الهلال ، عدد أغسطس، دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٩٧ .

١٧ ـ **عبد العزيز الميميني** : ديوان حميد بن ثور الهلالي ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٥١ .

١٨ ـ د . **على سامي النشار** : شهداء الإسلام في عهد النبوة ، دار المعارف، ط٩، القاهرة ،١٩٨٩ .

١٩ ـ **عودة الله منيع القبيسي** : تجارب في النقد التطبيقي ، دار البشير ، عمان، ١٩٨٥ .

٢٠ ـ د. **فايز ترحييني** : الإسلام والشعر ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٠ .

٢١ ـ **ابن قتيبة** : الشعر والشعراء ، جـ ١ ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٩٩٦ .

٢٢ ـ **ابن كثير** : البداية والنهاية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٥ .

٢٣ ـ د . **محمد أحمد سلامة** : الشعر في رحاب الدعوة الإسلامية في عصر صدر الإسلام ، ط١ ،مطبعة حسان ، القاهرة ، ١٩٨٣ .

٢٤ ـ **محمد بن جرير الطبري** : تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الطبري) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط٣ ، دار المعارف ، القاهرة ،بدون تاريخ .

٢٥ ـ **محمد بن سلام الجمحي** : طبقات فحول الشعراء ، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠١ .

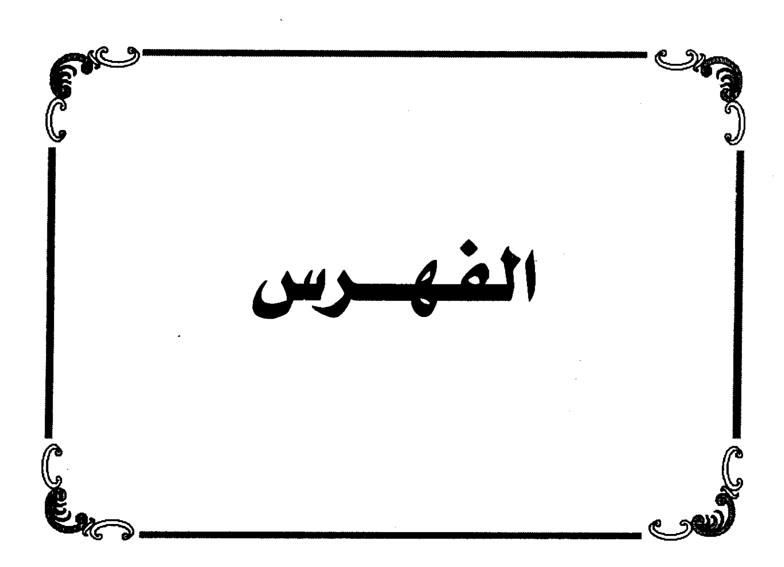
٢٦ ـ د. **محمد عادل الهاشمي** : شعر عصر صدر الإسلام من منظور التطور الإسلامي ، مكتبة المنار ، الأردن ، ١٩٨٦ .

٢٧ ـ د . **محمود على مكي** : المدائح النبوية ، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان ، القاهرة ، ١٩٩١ .

٢٨ ـ **ابن هشام** : السيرة النبوية ، تحقيق محمد شحاته إبراهيم ، دار المنار للطبع والنشر والتوزيع ، القاهرة ، بدون تاريخ .

٢٩ ـ **نور الدين السالمي** : تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان ، جـ١ ، مكتبة الاستقامة، مسقط ، بدون تاريخ .

٣٠ ـ **يحيى الجبوري** : الإسلام والشعر ، منشورات مكتبة النهضة ، بغداد، ١٩٦٤ .



الفهـــرس

الفهرس

الموضوع	الصفحة